

## (١٠١) مَا أَوَّلُ مَا يَقُولُ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ

### الْقِيَامَةِ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن شئتم أنباتكم ما أول ما يقول الله للمؤمنين يوم القيامة، وما أول ما يقولون له: فإن الله يقول للمؤمنين: هل أحببتُم لِقَائِي؟ فيقولون: نعم يا ربنا ، فيقول: لم؟ فيقولون: رجونا عَفْوَكَ ومغفرتك، فيقول: قد أوجبتُ لكم عَفْوِي ومغفرتي) .

[أخرجه ابن المبارك، وأبو داود الطيالسي ، والإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، والبيهقي في شعب الإيمان .. وهو في الصغير برقم ٢٦٦٥ ورمز له بالحُسْن]

ففي هذا الحديث الشريف يشير النبي ﷺ - من خلال إجابته - إلى أهم الإشارات التي ينبغي علينا نحن المؤمنين الصادقين - إن شاء الله - أن نكون على علم بالمراد منها .. حتى نكون من هؤلاء الذين يعملون ألف حساب لهذا اليوم الآخر الذي ستبلى فيه السرائر <sup>(١٥١٢)</sup> .. وسنكون فيه في أشد الحاجة إلى البشائر .

إن الله تبارك وتعالى - كما أشار الحديث - سيسألهم أولاً: (هل أحببتُم لِقَائِي؟) فيقولون: نعم، يا ربنا .. وهذه إشارة أولى ، وردت في نص حديث شريف:

(عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكْرَاهِيَةَ الْمَوْتِ، فَكُنَّا يَكْرَهُ الْمَوْتَ <sup>(١٥١٣)</sup> ؟ قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ <sup>(١٥١٤)</sup> ، وَلَكِنْ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ

<sup>(١٥١٢)</sup> كما يشير إلى قول الله تعالى في الآية رقم ٩ من سورة الطارق: ﴿يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ﴾، أى: تظهر.

<sup>(١٥١٣)</sup> يعنى: إذا كان المراد بلقاء الله الموت فكلنا يكره الموت، فما المخلص من هذا ؟

<sup>(١٥١٤)</sup> أى: ليس الأمر كما توهمون من تعلق محبة اللقاء أو كراهته بمحبة الموت أو كراهته .

برحمة الله ورضوانه وجنته: أحب لقاء الله ، فأحب الله لقاءه (١٥١٥) ، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسَخَطه: كره لقاء الله ، فَكَرَهُ اللهَ لِقَاءه).

[أخرجه البخارى ومسلم (١٥١٦) ، والترمذى والنسائى]

قال الخطابى: (محببة اللقاء إثارة العبد الآخرة على الدنيا ، وأن لا يُحِبَّ طول القيام فيها ولكن يستعد للارتحال عنها . ثم يقول: واللقاء على وجوه ، منها: الرؤية ، ومنها: البعث ، كقوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَتَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ (١٥١٧) . أى: بالبعث، ومنها: الموت كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾ (١٥١٨) ا هـ... وتفسير اللقاء هنا بالموت بعيد ، بل الظاهر أنه الثواب والأجر وقال ابن الأثير: المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة ، وطلب ما عند الله ، وليس الغرض به الموت ، لأن كُلاً يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله ، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله . (ومحبة) لقاء عبده إرادة الخير له ، وإنعامه عليه . وقال فى الفتح: (العدول عن الضمير إلى الظاهر فى قوله: (أحب الله لقاءه) للتفخيم والتعظيم ، ودفع توهم عود الضمير على الموصول لئلا يتحد فى الصورة المبتدأ والخبر ، ففيه إصلاح اللفظ لتصحيح المعنى) .

(هذا) ، وإذا كان المعنى المفهوم عند كثير من الناس ، هو كراهة الموت.. (فقد) قرأت أن أحد الصالحين سئل: ما لنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمَّرتُم الدنيا، وخرَّبتم الآخرة .. فقيل له: وكيف القُدوم على الله عز وجل؟ فقال: أما المحسن - أى الذى أعماله حسنة - فكالغائب - أى عن أهله - يأتى أهله فرحاً ، وأما المسىء - أى الذى أعماله سيئة - فكالعبد الآبق - أى: الهارب من سيده -

---

(١٥١٥) كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخْلُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ الآية رقم ٣٠ من سورة فصلت .

(١٥١٦) أخرجه البخارى فى كتاب الرقاق بروايتين إحداهما عن عبادة بن الصامت والأخرى مختصرة عن أبى موسى رضى الله عنهما ، ورواه مسلم عن عائشة وأبى هريرة فى كتاب الذكر والدعاء والتوبة فى باب: من أحب لقاء الله .. الخ .

(١٥١٧) يونس: من الآية ٤٥ .

(١٥١٨) العنكبوت: من الآية ٥ .

يأتى مولاه خائفًا محزونًا .

(فلنفهم) المراد من هذا النص الأخير حتى يكون العكس بالنسبة لنا هو الصحيح .. (أعنى) حتى نكون من المؤمنين الصادقين الذين يُؤثرون الآخرة على الأولى .. ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١٥١٩) ، وإذا كان هذا هو المعنى المشار إليه فى صحف إبراهيم وموسى ، فقد قرأت توضيحًا له: أن الله تبارك وتعالى قال فى (صحف إبراهيم وموسى) مخاطبًا الدنيا: (يا دُنْيَا ما أهونك على الأبرار الذين تَرَيْتِ لَهم .. إِنِّي قَدَفْتُ فى قلوبهمُ بغضكِ والصبرِ عنكِ .. ما خلقتُ خلقًا أهونَ علىَّ منك .. إِنى قضيتُ عليكِ يومَ خلقتكِ أن لا تدومى لأحدٍ، ولا يدومُ لك أحد) .

(وإذا) كان المشار إليه بعد ذلك فى نص الحديث الذى ندور حوله ، هو رجاء العفو والمغفرة من الله تبارك وتعالى .. فإنه حسبى أن أذكر الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. بنص حديث شريف:

(عن) أنس رضي عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: (يا ابن آدم، إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم، لو بلغتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثم استغفرتنى غفرتُ لك، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا <sup>(١٥٢٠)</sup> ثم لقيتني لا تشركُ بى شيئًا لأتيتها بقرابها مغفرةً). [رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح]

(وعلى هذا) فإننى أوصيهما كذلك بالإكثار من الاستغفار المشار إليه فى نص الحديث الأخير .. والذى أرجو أن يكون بسيد الاستغفار الذى ورد فى نص حديث صحيح <sup>(١٥٢١)</sup>، جاء فيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: (سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوء لك

(١٥١٩) سورة الأعلى: الآية ١٧ .

(١٥٢٠) أى: بما يقارب ملء الأرض خطايا .

(١٥٢١) رواه البخارى .

بنعمتك على ، وأبوء بذنبي (١٥٢٢) فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوبَ إلا أنت).

يقول النبي ﷺ: (مَنْ قَالَهَا فِي النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمَسِّيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

أسأل الله تعالى أن يحقق لنا هذا .. اللهم آمين .. اللهم آمين .. اللهم آمين ..

## (١٠٢) مَنْ هُوَ أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ ..

### أَوْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ الْإِلْدُ الْخَصْمُ) [رواه البخاري ومسلم]

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ مَنْ آمَنَ ثُمَّ كَفَرَ) [أخرجه الطبراني باللفظ المذكور من هذا الوجه] (١٥٢٣)

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (أبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْإِلْدُ الْخَصْمُ) (١٥٢٤)

[أخرجه أحمد في مسنده والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (أبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحَدٌّ فِي الْحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمُطَلَّبٌ دَمَ امْرَأٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهْرِيقَ دَمَهُ) . [أخرجه البخاري والبيهقي]

ففي كل هذه الأحاديث الشريفة .. يجيب الرسول صلوات الله وسلامه عليه على كل تلك التساؤلات الهامة التي لا بد أن تخطر لنا على بال حتى نجتنب كل الأسباب الموصلة إلى تحقيقها .. فيقول في الحديث الأخير بالذات (١٥٢٥):

(١٥٢٢) أي: اعترف بذنبي.

(١٥٢٣) وهو في الصغير برقم ٥٤ ورمز له بالحسن.

(١٥٢٤) الإلْد: الشديد الخصومة بالباطل، والخصم المولع بالخصومة الحريص عليها.

(١٥٢٥) لأنه يتعلق أو يدور حول أشد تلك الصفات استنكاراً .

(أبغضُ الناسِ إلى اللهِ ثلاثةٌ) أى: أشدهم عذاباً ، والمراد عصاة المؤمنين. فالكافر أبغض منهم عند الله تعالى ، وغير العصاة من المؤمنين لا يشاركونهم فى البغض .. ومعنى: (مُلْحَدٌ فى الحرم) أى: استحلال حرمة، وانتهاكها بفعل المعصية فيه .. إذ هو عاصٍ من وجهين. (ومُبْتَغٍ فى الإسلام سنَّةُ الجاهلية) أى: طريقتها .. كنوح النساء ، والأخذ بالتأثر من قريب القاتل ، والحكم بغير ما أنزل الله .. وهكذا . (ومُطَلَّبٌ دم امرئٍ بغير حق ليُهرق دمه) بضم الميم وشد الطاء ، أى: يبالغ فى الطلب وينفذه ، ويهرق من أهرق ، وخصَّه لأنه الغالب فى القتل .. فالمدار على إزهاق الروح ولو لم يُرَق دماً أصلاً .

(وأماً) عن الكفر بعد الإيمان - وهو المشار إليه فى الحديث الثانى - فهو المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ نَقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾ (١٥٢٦) ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ (١٥٢٧) .

وعن الوضين بن عطاء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(أبغضُ خليقةِ الله إلى الله يومَ القيامةِ: الكذابون، والمستكبرون، والمتكبرون، والذين يُكثرون البغضاء لإخوانهم فى صدورهم، فإذا لقوهم تخلَّقوا لهم) (١٥٢٨) ، والذين إذا دُعوا إلى الله وإلى رسوله كانوا بطاءً، وإذا دُعوا إلى الشيطان وأمره كانوا سرعاً).

[أخرجه الخرائطى فى مساويئ الأخلاق]

وعن ابن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أبغضُ الرجالِ إلى الله تعالى البليغُ الذى يتخلَّل بلسانه تخلُّل الباقرة بلسانها).

[أخرجه أبو نصر السجزي فى الإبانة]

(١٥٢٦) آل عمران: ٩٠ .

(١٥٢٧) النساء: ١٣٧ .

(١٥٢٨) أى: افتروا الكذب .

(أى أن) المراد به: التشدُّق بالكلام وتفخيمه، فيلوكة بلسانه كما تلوك البقرة  
الكلأ بلسانها ، ويقال فى جمع البقر: باقر كعامل.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا المراد من كل تلك  
الإجابات الواضحة .. حتى لا يكونا والعياذ بالله من أبغض العباد إلى الله تبارك  
وتعالى فى الدنيا والآخرة .. وعليهما أن يحرصا كل الحرص على التخلُّق  
بأخلاق الصالحين والصالحات التى من أهمها التخلق بأخلاق القرآن المشار  
إليها فى قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \*  
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ الْفُجُورِ مَعْرِضُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِلرُّكَاةِ فَاعِلُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ قُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ  
\* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* لَمَنْ لَبِغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ قَلْبًا  
هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْعَالِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ  
\* أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١٥٢٩)

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم .. اللهم آمين ،،

## (١٠٢) ما هى آية المنافق الذى تُحذَّر من التخلُّق بأخلاقه .. يا رسول الله؟

عن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (آية المنافق ثلاثٌ - وإن صام  
وصلَّى وزعم أنه مسلم - إذا حدَّث كذب ، وإذا وعدَ أخلف ، وإذا أُوْتِمِنَ  
[خان].)

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح يُحدِّثنا الحبيب المصطفى صلوات الله  
وسلامه عليه عن أهم صفات المنافق ، أى: علاماته التى تميزه وتدل عليه . حتى  
لا نتعامل معه، ولا نثق فيه .. لأنه لا عهد له .. (وإن صام وصلَّى وزعم أنه  
مسلم) (١٥٣٠) أى: ما دامت فيه واحدة من هذه الخصال ، فهو منافق حتى ولو  
كان يقوم بالعبادات الظاهرة من صلاة وصيام أو كان يدعى الإسلام..

(١٥٢٩) المؤمنون: ١ - ١١ .

(١٥٣٠) كما فى رواية مسلم .

والإسلام منه ومن أفعاله براء.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربع من كُنَّ فيه كان منافقًا خالصًا) (١٥٣١)، وَمَنْ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَّعَىٰ (١٥٣٢): إِذَا اثْتَمَنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذِبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدْرًا، وَإِذَا خَاصَمَ فَجْرًا. [رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى والنسائى]

(ومعنى): (إِذَا اثْتَمَنَ خَانَ)، أى: إِذَا أودع عنده شيء من سرٍّ أو مالٍ أفضى السرَّ وأذاعه وبدد المالَ وأضاعه (وَإِذَا حَدَّثَ كَذِبًا) أى: إِذَا أَخْبَرَ عن شيء لم يتحرَّ الصدق فى إخباره، بل يتعمد الكذب. (وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ) أى: إِذَا وَعَدَ إنسانًا بعدةٍ أخلف وعده ولم يُنجزه (وَإِذَا عَاهَدَ غَدْرًا) أى: إِذَا كَانَ بينه وبين أحدٍ عهدٌ لم يَفِ به بل ينكته وينقضه (وَإِذَا خَاصَمَ فَجْرًا) أى: إِذَا كَانَتْ بينه وبين أحدٍ خصومة ارتكب ضده ما لا يليق من أنواع الأذى، ولم يقف فى خصومته عند حد، فيكيد لخصمه ما استطاع حتى يستحل حرمة، ويثلم عرضه، ويفترى عليه بالكذب، ويسعى به لدى الحكام والولاة ونحو ذلك .. والعياذ بالله.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يكونا من أهل النفاق والعياذ بالله .. بل عليهما أن يكونا على عكس هذا من المتخلقين بأخلاق المؤمنين التى من أهمها الصدق (فإن الصدق طمانينة، والكذب ريبة) (١٥٣٣)، (وَإِنِ الصَّدَقُ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَالْبِرُّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ) (١٥٣٤).

والله ولى التوفيق،،

(١٥٣١) أى: كامل النفاق.

(١٥٣٢) أى: حتى يتركها.

(١٥٣٣) من حديث رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(١٥٣٤) من حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

## (١٠٤) بماذا أوحى الله إلى موسى بن عمران ..

### يا رسول الله؟

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوحى الله إلى موسى بن عمران: يا موسى ارض بكَسْرَةِ حُبْزٍ من شَعِيرٍ تَسُدُّ بها جوعتَكَ ، وخرقة توارى بها عورتك ، واصبر على المصيبات، وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل: (إنأ لله وإنأ إليه راجعون) ، عقوبة عجلت في الدنيا ، وإذا رأيت الدنيا مدبرةً والفقير مُقبلاً فقل: مرحباً بشعاري الصالحين) .

[رواه أبو نعيم في الحلية، والديلمي]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: إن في أمة محمد لرجالاً يقومون على كل شرف وواد، يُنادون بشهادة أن لا إله إلا الله ، جزاؤهم على جزاء الأنبياء) . [رواه الديلمي]

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوحى الله إلى موسى بن عمران : يا موسى إن من عبادي من لو سألتني الجنة بحذافيرها لأعطيته، ولو سألتني علاقة سوط لم أعطه، ليس ذلك من هوان له عليّ ، ولكني أريد أن أدخر له في الآخرة من كرامتي ، وأحميه من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراعي السوء ، يا موسى، ما أجات الفقراء إلى الأغنياء، أن خزانتي ضاقت عنهم، وأن رحمتي لم تسعهم ، ولكني فرضت للفقراء في أموال الأغنياء ما يسعهم . أردت أن أبلو الأغنياء كيف مسارعتهم فيما فرضت للفقراء في أموالهم، يا موسى إن فعلوا ذلك أتممت عليهم نعمتي، وأضعفت لهم في الدنيا للواحدة عشر أمثالها. يا موسى كن للفقير كنزاً ، وللضعيف حصناً، وللمستجير غيئاً: أكن لك في الشدة صاحباً ، وفي الوحدة أنيساً، وأكلوك في ليلك ونهارك) . [أخرجه ابن النجار]

هذا، وإذا كان لي أن أدور - وبإيجاز - حول هذه الأحاديث الثلاثة .. بكل ما

فيها من الإشارات التي لا بد أن ننتفع بها إلى آخر لحظة من لحظات حياتنا .. (فإننى) أحبُّ أن أُشِيرَ أولاً .. إلى أننا فعلاً - كمؤمنين - إن شاء الله فى أشد الحاجة إلى مثل هذه المواعظ التي لا شك ستكون لنا زاداً روحياً لنا فى جميع مراحل حياتنا .. ولا سيما فى مجال التعامل مع الله تعالى ، ومع الناس .

(وذلك) حتى يكون هذا التعامل لا شائبة فيه .. بمعنى أن يكون على أساس من الصدق فى هذا التعامل .. بتلك الصورة التي لا بد أن تكون واضحة لنا جميعاً .. (وهى) أن نعلم أن الله تعالى لا تخفى عليه خافية .. وأنه سبحانه لا ينظر إلى صورنا ، ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا (١٥٣٥) .. (وكذلك) بالنسبة للناس الذين نتعامل معهم تعاملأ دنيوياً وأخروياً .. (فإنهم) لا بد أن يتعودوا الصدق منا فى هذين المجالين .. حتى يستمر التعامل معهم على أساس مُتَقِن يُحِبُّه الله ورسوله .. (بل) وصالحو المؤمنين .. (وكل) هذا لن يكون إلا بمثل هذه المواعظ التي كما قلت: نحن المؤمنون فى أشد الحاجة إليها .. (وإذا) كان الله تعالى قد قال لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه:

﴿وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات] . (فما بالكم) بغير المؤمنين .. الذين ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩] ، فأصبحوا: ﴿كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩] ، إنهم لا شك أولى بالتذكير من غيرهم .. عسى أن يهتدوا كما اهتدينا .. ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتِدَىٰ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

(ولهذا) فقد قرأت عن الحسن البصرى رضي الله عنه قوله: (الموعظة موقظة للقلوب من سنة الغفلة ، ومُنْقَذَةٌ للبصائر من سكرة الحيرة ، ومُحْيِيَةٌ لها من موت الجهالة ، ومُسْتَخْرَجَةٌ لها من ضيق الضلالة).

(وتلك) هى الخلاصة المفيدة التي لا بد أن نَتَّقَ عليها .. حتى نحرص دائماً وأبداً على إيقاظ قلوبنا وإصلاحها بمثل تلك المواعظ النافعة التي ستجعل القلب صالحاً بتلك الصورة المشار إليها فى قول الرسول ﷺ:

(أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتِ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ

(١٥٣٥) كما ورد فى نص حديث شريف .

فسد الجسد كله: ألا وهي القلبُ) [الحديث رواه البخارى ومسلم]

(وعلى) هذا، فإننا نستطيع الآن . وبعد هذا التمهيد الهام .. أن نبدأ -  
وبتركيز إجمالي - فى شرح المراد من تلك الروايات الثلاثة حسب ترتيبها..

ففى الحديث الأول يوصى الله تبارك وتعالى نبيه موسى عليه السلام  
بوصايا هامة - لا بد أن ننتفع بها نحن كذلك - وهى: أن يكون راضياً بالقليل  
من أزواد هذه الدنيا التى لا دوام لها .. والتى قال الله تعالى عنها فى قرآنه:  
﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكم وتكاثرٌ فى الأموالِ والأولادِ  
كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ ثم بعد ذلك  
يقول سبحانه: ﴿وَلِىَ الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ أى: لمن باع الآخرة بالدنيا ﴿ومَغْفِرَةٌ  
مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ أى: لمن باع الدنيا بالآخرة.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (١٥٣٦) ، أى: وما زينة الحياة الدنيا المعجّلة  
لكم أيها الناس إلا متاع الغرور .. قال ابن كثير: أى هى متاع فأن، يفتّرُ بها من  
يعتقد أنه لا دار سواها ، ولا معاد وراءها ، وهى حقيرة قليلة بالنسبة إلى الدار  
الآخرة .. (وفى) الحديث: (موضع سوطٍ فى الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها)  
[أخرجه البخارى فى الرقاق، والإمام أحمد فى المسند]

(وهذا) معناه أنها دار مؤقتة لا دوام لها .. (وقد) وصفها الإمام على عليه السلام  
بقوله: (.. أولها بكاء، وأوسطها عناءٌ ، وآخرها فناء). (ولهذا) فإنه ينبغي أن  
يكتفى منها بزاد المسافر .. كما ورد فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى  
(عن) ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى، فقال: (كُنْ فى الدنيا كأنك  
غريبٌ أو عابرٌ سبيل).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول (١٥٣٧): إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباحَ، وإذا  
أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ، وخذْ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك .

(١٥٣٦) الحديث: ٢٠.

(١٥٣٧) أى: معلقاً على وصية الرسول صلى الله عليه وسلم له.

(وقد قال الإمام النووي (١٥٣٨) شارحاً ما قاله الرسول ﷺ لابن عمر رضي الله عنهما: أى: لا تركز إليها - أى: إلى الدنيا - ولا تتخذها وطناً ، ولا تُحدث نفسك بالبقاء فيها ، ولا تتعلقَ منها إلا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله ، وهذا معنى قول سلمان الفارسى رضي الله عنه: (أمرنى خليلي صلى الله عليه وآله وسلم أن لا أتخذ من الدنيا إلا كمناع الركب) ، أى: المسافر .. ولله درُّ من قال:

أتبنى بناء الخالدين وإنما  
لقد كان فى ظلِّ الأراكِ كفايةً  
ترجو البقاءَ بدارٍ لا بقاءَ لها  
سُجنتَ بها وأنتَ لها مُحبٌّ  
فلا تلهو بدارٍ أنتَ فيها  
وتطعمك الطعامَ وعن قريبٍ  
مقامك فيها لو عقلتَ قليلُ  
لمن كانَ فيها يعتريه رحيلُ  
وهل سمعتَ بظلٍّ غيرِ مُنتقلٍ  
فكيف تُحبُّ ما فيه سُجنتَنا  
تُفارقُ منك يوماً ما لهوتَنا  
تُفارقُ منك يوماً ما لهوتَنا

(وتلك) هى الخلاصة التى لا بد أن تنتهى إليها .. حتى لا نغتر بالدنيا فنُعطيها أكثر من حقها (فقد) ورد عن الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه أنه قال: (عرضَ علىَّ ربِّي ليَجعلَ لِي بطحاءَ مكةَ ذهبًا، قلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً ، أو قال: ثلاثًا، أو نحو هذا، فإذا جُعتَ تضرعتُ إليك (١٥٣٩) وذكرك ، وإذا شِبتُ شُكرتُك وحمدتُك) (١٥٤٠) .

[رواه الترمذى ، وقال: حديث حسن]

(فالنبي) ﷺ - كما أشار هذا الحديث - لم يرضَ بما عرضه عليه ربه من متاع الدنيا وزينتها ، وآثر أن يعيش على الكفاف مكتفياً باليسير وراضياً به .. ليكون المثل الأعلى فى الزهد والقناعة .. لكل فرد من أفراد أمته إلى أن يرث الله الأرضَ ومنَ عليها.

(١٥٣٨) فى شرح الحديث الأربعين .. من الأربعين النووية.

(١٥٣٩) أى: سألتك من فضلك ضارعاً إليك ضراعة العبد الخاشع الذليل .

(١٥٤٠) أى: فمت لك بحقك من الشكر والثناء على سابع نعمتك وعظيم فضلك.

(بل) ورد (عن) أبي الدرداء رضي عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمَعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ) (١٥٤١):  
يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم ، فإن ما قلَّ وكفى خير مما كثر وألهى) .

[رواه أحمد ورواه رواة الصحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال: صحيح الإسناد]  
(وعن) فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (طُوبَى (١٥٤٢) لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ).

[رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح والحاكم . وقال: صحيح على شرط مسلم]  
(فليفهم) الأخ المسلم كل هذا .. حتى لا يكون من المنشغلين بحطام الدنيا الزائل عن أعمال الآخرة .. (بل) وحتى يرضى بما قسم الله تعالى له .. مع الأخذ بأسباب التوسعة المشار إليها في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ لِي سَبِيلَ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ (١٥٤٣)

(وعليه) أيضًا أن يصبر على مصيبات الدنيا .. (بمعنى) أن يكون من المشار إليهم في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بَشِيْرًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِرٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْعُرْمَاتِ﴾ ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٤٤)

(وعن) عائشة رضي عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ (١٥٤٥) إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يُشَاكُهَا) .

[رواه البخارى ومسلم]

وفى رواية لمسلم: (لا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ شُوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا (١٥٤٦) إِلَّا نَقْصَ)

(١٥٤١) أى: الجن والإنس.

(١٥٤٢) أى: العاقبة الطيبة، وقيل: هى شجرة فى الجنة يسير الراكب فى ظلها مائة عام.

(١٥٤٣) النساء: من الآية ١٠٠ . (١٥٤٤) البقرة: ١٥٥ - ١٥٧ .

(١٥٤٥) والمعنى أى مصيبة تصيب المسلم صغرت أم كبرت .

(١٥٤٦) أى: حتى ولو كانت هذه المصيبة شوكة شيك بها، فإنه يكفر عنه بها .

اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطِيئَتِهِ). وفى أخرى: (إلا رفعه الله بها دَرَجَةً ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً).

(وعليه) أيضاً إذا أقبلت الدنيا عليه .. أن يَفِرَّ منها - أى: من زينتها وفتنتها - وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى: (إنا لله وإنا إليه راجعون)، حتى يفهم أنه فى لحظة ما سيتترك الدنيا بكل ما فيها من متاع .. وسيرحل إلى الله تبارك وتعالى وليس معه إلا ما قَدَّمَهُ من أعمال صالحة أو طالحة.

قال تعالى: ﴿وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ﴾ (١٥٤٧) ، وقال: ﴿إِنَّمَا مِثْلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ﴾ أى: كأن تلك الزروع والنباتات ، لم تكن بالأمس نابذة ظاهرة على ظهر الأرض.. فكما أهلكتنا نبات هذه الأرض بعد حُسْنِهَا وبهجتها، فكذلك يأتى الفناء على الدنيا وزخارفها فيُفْنِيهَا وَيُهْلِكُهَا ﴿كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٥٤٨).

(وهذا) تنبيه من الله تعالى لعباده .. حتى لا يطلبوا الدنيا وزينتها - بتلك الصورة التى تشغلهم عن الله - وحتى يعلموا كذلك أن مصير الدنيا إلى فناء .. كما صار النبات إلى هلاك وبوار .. (بل) وحتى يكونوا بسبب هذا المفهوم الواضح من أهل الآخرة التى هى دار القرار .. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ﴾ أى: لَهِىَ الْحَيَاةِ الْحَقِيقِيَّةِ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (١٥٤٩).

(وعليه) كذلك حتى يزهد فى الدنيا - بمعنى - أن يُخْرِجَ حُبَّهَا من قلبه .. أن يعلم أن الدنيا إذا أقبلت عليه .. (أن هذا) قد يكون بالنسبة له: عقوبة عَجَلَتْ له فى الدنيا .. حتى يحذر شَرَّهَا ، والوقوع فى شِبَاكِهَا .. التى يقوم الشيطان بتصنيعها لحسابها .. والله دَرُّ من قال:

(١٥٤٧) غافر: من الآية ٤٣ .

(١٥٤٨) يونس: ٢٤ .

(١٥٤٩) العنكبوت: من الآية ٦٤ .

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فِيهَا حَدَارٍ حَدَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْكِي  
فَلَا يَغْرُرْكُمْوَا مِنِّي ابْتِسَامٌ فَقَوْلِي مُضْحِكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي  
(وعليه) أيضاً .. إذا رأى الدنيا مدبرة - عنه - وإذا رأى الفقر مقبلاً - أى: فى  
الطريق إليه .. أن يقول: (مرحباً بشعار الصالحين).

(وذلك) حتى يعلم أنه ليس وحده المتعرض لمثل هذا .. وإنما أكثر الصالحين -  
كما ورد فى السنة الشريفة - لم يكونوا من أبناء الدنيا.

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (اللهم اجعل رزق  
آل محمد قوتاً) (١٥٥٠) وفى رواية: (كفأفاً) (١٥٥١).

[رواه البخارى ومسلم، والترمذى، وابن ماجه]

(وعن) سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لو كانت تعدل عند  
الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء).

[رواه ابن ماجه والترمذى وقال: حديث حسن صحيح].

(فهذا) الحديث يشير فى مضمونه إلى ملاحظة هامة .. وهى أن هذه الدنيا  
لو كانت تزن عند الله جناح بعوضة لأعطاها لأحبائه وأوليائه .. (بل) وأنبيائه ..  
(ولكنه) سبحانه لهوان الدنيا عنده أعطاها لمن كفر به .. ولاكثر هؤلاء الذين  
لا خلاق لهم .. (وذلك) حتى نعلم جميعاً أن الدنيا ليست دليلاً على حب الله  
تعالى لفلان أو بغضه له.

(بل) إن الله تعالى يقول فى قرآنه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ﴾ أى: من كان طلبه  
الدنيا ﴿عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ أى: عجلنا له فى الدنيا ما شئنا من بسط  
النعيم، لمن نريد أن نفعل به ذلك. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً﴾ أى:  
ثم أصليناها فى الآخرة جهنم، مذموماً على قلة شكره، مُبْعِداً مَقْصِياً فى النار.  
﴿وَمَنْ أَرَادِ الآخِرَةَ وَسَمَى لَهَا سَمِياً﴾ أى: ومن طلب الآخرة، وعمل لها عملها،

(١٥٥٠) قال فى النهاية: (أى: بقدر ما يمك الرمق من الطعام).

(١٥٥١) أى: قوت يومهم .. وذلك حتى يكونوا على صلة دائمة بالله .

وذلك بطاعة الله وما يرضيه ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أى: وهو مُصدِّقٌ بثواب الله وعظيم جزائه ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ أى: فهؤلاء يجزيهم الله أحسن الجزاء على أعمالهم الصالحة ، ويتجاوز لهم عن سيئها برحمته.

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (١٥٥٢) أى: أن الله تعالى يُمدُّ كلا الفريقين من عطائه الذى لا ينفد .. إلى بلوغ آجالهم .. وما كان عطاء ربك ممنوعاً عن أحد من خلقه .. قال قتادة: قسم الله الدنيا بين البرِّ والفاجر ، وجعل الآخرة خصوصاً للمتقين .

(فلا تَكُنْ) أيها الأخ المسلم من الذين يرجون العاجلة .. وإنما كُنْ على عكس هذا من المتقين الذين يرجون الآخرة .. التى ينبغى عليك أن تسعى لها سعيها بكل جدٍّ وإخلاص .. فى كل ميادين الخير - بصرف النظر عن كونك فقيراً أم غنياً - حتى يكون سعيك مشكوراً .. إن شاء الله .

وأما عن مضمون الحديث الثانى، فإن المشار إليهم فيه، هم: الدعاة إلى الخير .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (١٥٥١) ولتَكُنْ منكم أيها المؤمنون جماعة، يدعون الناس إلى الإسلام وشرائعه . ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ ، أى: يأمرُونَ بالإيمان بمحمد ودينه ، وينهون عن الكفر بالله والتكذيب برسوله (١٥٥٣) ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٥٥٤).

(ويوم) أن نستجيب لهذا الأمر الإلهى .. ونكون من الدعاة إلى الخير .. (فإن) هذا سيكون معناه أننا من المشار إليهم فى هذا الحديث، (وأننا) كذلك من الذين اجتباهم الله تعالى لإعلاء كلمته ، ونشر رسالته التى بعث بها جميع رسله .. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ ، أى: ولقد أرسلنا لكل أُمَّةٍ سَلَفَتْ رسولاً . ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ ، أى: بأن

(١٥٥٢) الإسراء: ١٨ - ٢٠ ، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى . بتصرف.

(١٥٥٣) المعروف: كل ما استحسنته الشرع من قول وعمل، والمنكر: كل ما استقبه الشرع من قول وعمل.

(١٥٥٤) آل عمران: ١٠٤ .

اعبدوا الله وحده ، وابتعدوا عن الشيطان ، واحذروا أن يصدكم عن سبيل الله ..  
﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (١٥٥٥)

(ويوم) أن نشرف بهذا .. فإنه ينبغي علينا أن نشكر الله تعالى على أن جعلنا  
أهلاً لهذا الشرف الذى لا يدانيه شرف .. (ونحن) نسأله تعالى التثبيت .. وهم  
أيضاً المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ  
وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أى: دعا الناس إلى الإسلام بقوله وعمله. ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ  
الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥٥٦) ، أى: وخضع لله بالطاعة والعبودية ، والإيمان بالوحدانية.

(فهذه) الآية عامة فى كلِّ من جمع الخصال الثلاث: الدعوة إلى الله ، وعمل  
الخير ، والاستقامة بعلمه وعمله .. (وقال) ابن كثير: هذه الآية عامة فى كل من  
دعا إلى خير وهو فى نفسه مهتدٌ، فنفعه لنفسه ولغيره . ا هـ .

(فلنكنُّ) كذلك - إن شاء الله - من هؤلاء المشار إليهم فى نص الآية حتى  
نكون - أيضاً - إن شاء الله تعالى من المشار إليهم فى نص الحديث الثانى،  
(وهم) الذين سيجزيهم الله تعالى جزاء الأنبياء، وهو أعظم جزاء، والله ولى  
التوفيق .

(وأماً) عن مجمل المراد من الحديث الثالث: فإنه حسبنا أن نعلم أنه يشير  
إلى جملة حقائق عن الله تبارك وتعالى .. (لا بد) أن نكون قد وقفنا عليها بمجرد  
الاستماع إليه أو النظر إلى كل كلمة من مفرداته .. (وهى) أن الله سبحانه  
وتعالى مالك الملك والملكوت .. (وأنه) سبحانه يعطى من يشاء ، ويمنع الخير  
عمن يشاء فى هذه الدنيا - لحكمة يعلمها هو - وقد يكون هذا المنع الصورى  
ادخاراً له فى الآخرة .. أو حماية له من الدنيا كما يحمى الراعى غنمه من  
مراعى السوء .

(وأنه) سبحانه وتعالى عندما فرض فى أموال الأغنياء حقاً معلوماً: (للسائل  
والمحروم) ، فإن هذا ليس معناه أن الله تعالى قد أراد بهذا أن يكون الفقراء فى

(١٥٥٥) النحل: ٣٦ .

(١٥٥٦) فصلت: ٣٣ .

حاجة إلى الأغنياء - بهذا المعنى الإذلالى الذى قد يفهمه بعضهم - (وإنما المعنى) هو أن الله تعالى قد أراد بهذا - وهو الحكيم الخبير - أن يكون هناك ربط اجتماعى بين فقراء المؤمنين وأغنيائهم .. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (١٥٥٧)

(وقد) كان من الممكن أن يحتجز الله تبارك عنده - فى خزائنه - حق السائل والمحروم من أموال الأغنياء .. حتى يوصله سبحانه وتعالى إلى الفقراء توصيلاً مباشراً حتى لا يذهبوا إلى الأغنياء لكى يأخذوا منهم زكاتهم .. (بالمُنِّ والأذى)، (ولكن) الله تبارك وتعالى قد أراد بهذا ابتلاء هؤلاء الأغنياء واختبارهم - وهو أعلم - حتى يتضح - إذا كانوا سيُوصَلُونَ هذا الحق - الذى هو أمانة عندهم - إلى أصحابه الفقراء والمساكين .. أم لا ؟ ويا ويلهم إن لم يفعلوا هذا .. (أما) إن فعلوا - إن شاء الله - فإن الله تعالى سَيِّمُ عليهم نعمته .. وسيبارك لهم فى أرزاقهم وفى كل ما يملكون.

(هذا) وإذا كان الله تبارك وتعالى قد قال لسيدنا موسى عليه السلام، فى ختام الحديث (الثالث): (يا موسى: كُنْ للفقير كنزاً، وللضعيف حصناً، وللمستجير غيئاً (أَكُنْ) لك فى الشدَّةِ صاحباً، وفى الوحدة أنيساً، وأكلوك<sup>(١٥٥٨)</sup> فى ليك ونهارك).

(فإننى) أنصح الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. بضرورة أن يُنفَّذا المراد من هذا النداء الأخير .. (حتى) يفوزا بكل هذا الخير المشار إليه بعد هذا .. (هذا) بالإضافة إلى ضرورة أن ينتفعا كذلك بكل هذا الخير الذى وقفا عليه من خلال شرح الأحاديث الثلاثة .. (مع) ملاحظة أن يحرصا على نشره (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال: (أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ يَتَعَلَّمَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ عِلْماً ، ثُمَّ يُعَلِّمَهُ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ) [رواه ابن ماجه بإسناد حسن] . والله ولى التوفيق ،،

(١٥٥٧) التوبة من الآية ٧١.

(١٥٥٨) أى: أحفظك وأرعاك.

## (١٠٥) بِمَاذَا أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى .. إِلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم: يا عيسى بن مريم، عِظْ نَفْسَكَ بِحِكْمَتِي، فَإِنْ انْتَفَعْتَ فَعِظَ النَّاسَ، وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مِنِّي). [أخرجه الديلمي]

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أوحى الله تعالى إلى عيسى ابن مريم في الإنجيل: أَنْ قُلْ لِلْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنْ مَن صَامَ لِمَرْضَاتِي أَصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ، وَأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ).

[أخرجه أبو الشيخ في الثواب، والديلمي والرافعي]

(هذا) وإذا كان لي أن أدور وبإيجاز حول هذين الحديثين الشريفين .. حتى نتفجع بما فيهما من إشارات هامة .. لا بد أن تكون واضحة لنا .. حتى نفهم المراد منها .. (فإنني) أقول معلقاً على الحديث الأول بصفة خاصة:

إن الله تبارك وتعالى .. بقوله لسيدنا عيسى عليه السلام: (.. عِظْ نَفْسَكَ بِحِكْمَتِي، فَإِنْ انْتَفَعْتَ فَعِظَ النَّاسَ، وَإِلَّا فَاسْتَحْيِ مِنِّي).

(فإنه) سبحانه وتعالى بهذا القول الجامع .. يضع النقط على الحروف بالنسبة لموضوع من أخطر المواضيع .. (ألا وهو) أن يكون الواعظ عاملاً بعلمه قبل أن يعظ الناس به .. وإلا كان - والعياذ بالله - هؤلاء المشار إليهم في قول الله تبارك وتعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ؟﴾، أي: أأمرّون الناس بطاعة الله وتعصونه أنتم؟  
 ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾، أي: وتتركون أنفسكم من طاعته، فهلا تأمرونها بما تأمرون به الناس؟! ﴿وَأَنْتُمْ تَطَّوْنُ الْكِتَابَ﴾، أي: وأنتم تقرأون التوراة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥٥٩)؟

(١٥٥٩) البقرة: ٤٤. والتفسير من مختصر تفسير الطبري .. بتصرف.

أى: أفلا تفهمون قُبِحَ ذلك الصَّنِيعُ؟ والخطابُ لأَحْبَارِ اليهودِ تقرِيعاً لهم وتَوْبِيخاً.

(ويقول) تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) (١٥٦٠)

أى: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله، لِمَ تقولون القول الذي لا تُصدِّقونه بالعمل؟ فأعمالكم مخالفة لأقوالكم ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٣) (١٥٦١) أى: عَظُمَ بَغْضًا (١٥٦٢) وقولاً عند ربِّكم، قولكم ما لا تفعلون.

(وقد) قرأت حول سبب نزول هذه الآية: أن بعضَ المسلمين قالوا: لو عرفنا أحبَّ الأعمالِ إلى الله لعمَلْنَا به، ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا !! فلما فرضَ الله الجهادَ عليهم كرهَهُ بعضهم، وضَعَفَتْ نفوسهم عن مجابهة الأعداء .. فنزلت الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢) ؟

(وقد) ورد في السنة الشريفة ما يُرهبُ من مثل هذا:

(فعن) زيد بن أرقم رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: (اللهم إنِّي أعوذ بك من علم لا ينفع (١٥٦٣)، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفسٍ لا تشبعُ، ومن دعوة لا يُستجابُ لها).

[رواه مسلم والترمذى والنسائى. وهو قطعة من حديث].

(وعن) أسامة بن زيد رضي عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يُجاءُ بالرجلِ (١٥٦٤) يوم القيامة فيلقى في النار فتندلقُ أفتابُهُ (١٥٦٥)،

(١٥٦٠) الصف آية: ٢.

(١٥٦١) الصف آية: ٣.

(١٥٦٢) (مقْتًا): المقت: أشد البغض وأفحشه.

(١٥٦٣) قال فى هامش (الترغيب والترهيب) ج ١ ص ١٤٢ معلقاً على هذه الجزئية: ويدخل فيه كل علم لا يزيد الإنسان معرفة بربه، ولا بأحكام دينه، ولا يقوم على أساس صحيح بل على جهالات وأوهام كعلوم الفلسفة والكلام أو يكون ضاراً مؤذياً ومُضَيِّباً إلى الشرك كعلوم السحر والتنجيم والكهانة والشعوذة والحيل والظلمسات، أو يكون حشواً لا فائدة فيه كتفريعات الفقهاء وغرائب الأخبار.

(١٥٦٤) أى: من علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون.

(١٥٦٥) أى: تخرج أعضاؤه من بطنه.

فيدورها<sup>(١٥٦٦)</sup> كما يدور الحمارُ برحاهُ، فيجتمعُ أهل النارِ عليه فيقولون: يا فلانُ ما شأنك، أَلَسْتَ كُنْتَ تأمر بالمعروفِ وتنهى عن المنكرِ ؟ فيقول: كُنْتُ أَمُرُّكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ<sup>(١٥٦٧)</sup>، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الشَّرِّ وَآتِيهِ . قال: وإني سمعته يقول: يعنى النبي ﷺ: (مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرَى بِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ<sup>(١٥٦٨)</sup> مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ ؟ قَالَ: خُطْبَاءُ أُمَّتِكَ<sup>(١٥٦٩)</sup> الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ) . [رواه البخارى ومسلم واللفظ له، ورواه ابن أبى الدنيا وابن حبان والبيهقى من حديث أنس وزاد ابن أبى الدنيا والبيهقى فى رواية لهما: (ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به) ]<sup>(١٥٧٠)</sup> .

(وعن) أبى بَرزَةَ الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدًا<sup>(١٥٧١)</sup> حَتَّى يُسْأَلَ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ<sup>(١٥٧٢)</sup>، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ) .

[رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح]

ورواه البيهقى وغيره من حديث معاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال: (ما تزولُ قَدَمًا قَدَمًا عَبْدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟) (وعن) لِقْمَانَ يَعْنِي ابْنَ عَامِرٍ قَالَ: كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِنَّمَا أَخْشَى مِنْ رَبِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يَدْعُونِي عَلَى رِءُوسِ الْخَلَائِقِ فَيَقُولَ لِي: يَا عُيْمِرُ<sup>(١٥٧٣)</sup>، فَأَقُولُ: لَبَيْكَ رَبِّ، فَيَقُولُ: (مَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ) . [رواه البيهقى]

(١٥٦٦) وفى رواية: فيدور بها .

(١٥٦٧) أى: ولا أفعله .

(١٥٦٨) جمع مقرض، وهو آلة القرض كالنشار ونحوه .

(١٥٦٩) وفى بعض الروايات: خطباء الفتنة من أمتك .

(١٥٧٠) ولا شك أن القرآن يكون حجة على من قرأه ولم يعمل به .

(١٥٧١) أى: لا يفارق موقف القضاء والحساب يوم القيامة .

(١٥٧٢) يعنى: هل عمل بعلمه فنفعه علمه؟ أم كان ممن يقول ولا يفعل؟

(١٥٧٣) هذا اسم أبى الدرداء رضى الله عنه .

(وعن) جندب بن عبدالله الأزدي رضي الله عنه صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مثلُ الذي يَعْلَمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيُنْسِي نَفْسَهُ كَمَثَلِ السَّرَاجِ، يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ). [الحديث رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن]

(وعن) عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مَنْافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ <sup>(١٥٧٤)</sup>).

[رواه الطبراني في الكبير والبخاري، ورواه محتج بهم في الصحيح،

ورواه أحمد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه]

(وعن) منصور بن زاذان: نُبِئْتُ أَنَّ بَعْضَ مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ يَتَأَذَى أَهْلُ النَّارِ بِرِيحِهِ، فَيُقَالُ: وَيْلَكَ <sup>(١٥٧٥)</sup> مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ <sup>(١٥٧٦)</sup> مَا يَكْفِينَا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الشَّرِّ حَتَّى ابْتَلَيْنَا بِكَ، وَبِتَنْنِ رِيحِكَ؟ فيقول: كُنْتُ عَالِمًا فَلَمْ أَنْتَعِمْ بِعِلْمِي .

[رواه أحمد والبيهقي]

(ولهذا) فإنني أقول للأخ المسلم الذي شاء الله تعالى له أن يكون من علماء المسلمين - بفضله تعالى وتوفيقه - اتق الله في نفسك، وفي علمك .. (بل) وفي كل هؤلاء الذين من المفروض عليك أن تكون قدوة صالحة لهم .. حتى يكون علمك حجةً لك لا عليك .. وإلا كنت - والعياذ بالله - كهؤلاء المشار إليهم في الآيتين الكريميتين اللتين وقفت عليهما في أول هذا التعليق .. (وكذلك) في بعض الأحاديث الشريفة التي وقفت عليها بعد ذلك.

(وحسبك) أن تعلم أنه إذا لم يكن العلم الذي تعلمته نافعاً، وأنه إذا لم يخرج من قلبك .. فإنه لن يصل إلى قلوب المستمعين إليك، (ولهذا) قالوا: إذا خرج الكلام من القلب وصل إلى القلب، أما إذا خرج من اللسان فإنه لا يتجاوز الأذان .. والله درُّ مَنْ قَالَ:

مَوَاعِظُ الْوَاعِظِ لَنْ تُقْبَلَ حَتَّى يَعْهَدَ قَلْبُهُ أَوْلَا

(١٥٧٤) يعنى: ماهر فى تصريف القول وبارع فى إدارة فنون الكلام.

(١٥٧٥) أى: هلاكاً لك، وقيل: هو واد فى جهنم.

(١٥٧٦) ما هنا استفهامية، يعنى: أى عمل كنت تعمله فى الدنيا أوجب لك هذه الراتحة.

خالف ما قد قاله فى الملا

يا قوم من أظلم من واعظ

وخالف الرحمن لَمَّا خَلا

أظهر بين الخلق إحسانه

(ولهذا) أيضاً، فإننى أزوّد الأخ العالمَ أو المُعلّمَ بقصيدة لأبى الأسود الدؤلى

المتوفى سنة ٦٥ هـ يقول فيها عليه رحمة الله:

فلقاؤه يكفيك والتسليم  
ندم وغب بعد ذلك وخيم  
هلاً لنفسك كان ذا التعليم  
كَيْمَا يَصِحُّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمٌ  
أبدأ وأنت من الرشاد عيّم  
فإذا انتهت عنه فانت حكيم  
بالقول منك وينفع التعليم  
عَارٌّ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وإذا طلبت إلى كريم حاجة  
واترك مجازاة السفيه فإنها  
يا أيها الرجل المعلم غيره  
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا  
وئسرك تصلح بالرشاد عقولنا  
أبدأ بنفسك فأنهها عن غيرها  
فهناك يسمع ما تقول ويهتدى  
لا تنه عن خلق وتأتى مثله

(فإنذا) كنت أيها الأخ العالم أو المعلم ستنفذ الخير هذا فيها ونعمت (أما) إذا

كان العكس هو الصحيح .. فإنه من الخير لك ولنا أن تستحي من الله تبارك

وتعالى الذى يقول: ﴿وَيَحذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾<sup>(١٥٧٧)</sup>، أى: يخوفكم سخطه وعقابه

.. (والله) نسال أن يعيننا عليك .. اللهم آمين..

## (١٠٦) لماذا أنزل الله المال .. يا رسول الله؟

عن أبى واقد الليثى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: (إن الله عز وجل قال: إننا

أنزلنا المال لإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم وادٍ لأحب أن

(١٥٧٧) آل عمران: من الآية ٣٠.

يكون له ثَنان، ولو كان له واديان لأحبَّ أن يكون إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابنِ آدمَ إلاَّ التُّرابُ، ثم يتوب اللهُ على مَنْ تابَ .

[أخرجه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية] (١٥٧٨)

(وعن) أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لَوْ كَانَ لابنِ آدمَ واديانِ من مالٍ لَأَبْتَعِيَ إليهما ثالثاً، ولا يملأُ جَوْفَ ابنِ آدمَ إلاَّ الترابَ (١٥٨٠)، ويتوبُ اللهُ على مَنْ تابَ (١٥٨١) . [رواه البخاري ومسلم]

(وعن) ابن عباسٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لو أن لابنِ آدمَ وادياً من ذهبٍ (١٥٨٢) لأحبَّ أن يكون إليه مثله (١٥٨٣)، ولا يملأُ عينَ ابنِ آدمَ إلاَّ الترابُ (١٥٨٤)، ويتوب اللهُ على مَنْ تابَ) . [رواه البخاري ومسلم]

(وعن) عباس بن سهل بن سعد رضى الله عنهم قال: سمعتُ ابنَ الزبير على منبر مكة في خطبته يقول: يا أيها الناس: إن النبي ﷺ كان يقول: (لو أن ابنِ آدمَ أُعطيَ وادياً من ذهبٍ أحبَّ إليه ثانياً، ولو أُعطيَ ثانياً أحبَّ إليه ثالثاً، ولا يسُدُّ (١٥٨٥) جوفَ ابنِ آدمَ إلاَّ الترابُ، ويتوب اللهُ على مَنْ تابَ)

[رواه البخاري]

(هذا) وإذا كان لي أن أعلِّقَ إجمالاً على هذه الأحاديث الشريفة الأربعة .. (فاينني) أريد أولاً أن أنبِّهَ الأخ المسلم إلى ملاحظة هامة لا بد أن تكون دائماً وأبداً نُصبَ عينيه .. (وهي) أن لا ينسى أنه على سفرٍ إلى الله تبارك وتعالى من يوم أن وُلِدَ .. كما قال لقمان الحكيم لولده: (يا بني إنك منذ نزلتَ إلى الدنيا

(١٥٧٨) وهو في جمع الجوامع رقم ٤٠٥ - ٤٨٩٠ .

(١٥٧٩) تثنية وادٍ وهو ما بين الجبلين .

(١٥٨٠) قال القسطلاني: أي: لا يشيع من الدنيا حتى يموت .

(١٥٨١) يعنى: أن من تاب عن المعصية ورجع عنها، وبَعُدَ عن الشرِّ المذموم وعن جمع المال وكثره، فإن الله يقبل توبته .

(١٥٨٢) أي: وادياً مملوءاً من ذهب، وهو أنفُسُ المعادن وأغلاها ثمناً .

(١٥٨٣) أي: لتمنى أن يُضَافَ إليه وادٍ آخر .

(١٥٨٤) هذا التعبير كناية عن الموت لأستلزامه الامتلاء منه كأنه قال: لا يشيع من الدنيا حتى يموت .

(١٥٨٥) أي: يملأ .

استدبرتها<sup>(١٥٨٦)</sup> واستقبلت الآخرة .. فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل).

(وهذا) هو ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَلَهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾<sup>(١٥٨٧)</sup>، (وهذا) معناه أن مثلنا في هذه الدنيا كمثل الضيف الذي لا بد أن يرحل .. كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله الذي لا بد أن نفهمه:

كَالطَّيْفِ لَيْسَ لَهُ إِقَامَةٌ

الأحوال مُرْتَقِبٌ حِمَامَةٌ<sup>(١٥٨٩)</sup>

لم يجعل التقوى اغتنامة

وَبِيقَى الزَّمَانُ عَلَى مَا تَرَى

ونجم يغور ونجم يُرى

العُمُرُ مِثْلُ الضَّيْفِ أَوْ

وأخو الحَجَبِي<sup>(١٥٨٨)</sup> فِي سَائِرِ

وَالجَاهِلِ الْمَغْتَرَمَنْ

■ كما يقول أيضاً أحدهم:

نُزُولٌ كَمَا زَالَ أَبَاؤُنَا

نَهَارٌ يَمُرُّ وَلَيْلٌ يَكْرُ

■ (بل) وكما يقول أحدهم:

لَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهَا مُخَلَّدًا

وَلَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَدْوِمُ لِوَاحِدٍ

(ولكن) الله تعالى قد قضى ولا راد لقضائه بأن كل شيء هالك إلا وجهه ..

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾<sup>(١٥٩٠)</sup>، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ \* وَيَبْقَى

وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾<sup>(١٥٩١)</sup>، وقال تعالى في الحديث القدسي: (يا بن

آدم لا تغتر بشبابك، فكم من شاب سبقك إلى الموت، يا بن آدم لا تفرح بدنياك

فلست بمخلد، يا بن آدم استحي منى عند معصيتك، أستحي منك فلا أعذبك).

(١٥٨٦) أى: جعلتها خلفك وانجحت تلقائياً إلى الآخرة التى لا بد أن تنتهى إليها إن عاجلاً وإن آجلاً.

(١٥٨٧) سورة طه: الآية ٥٥ .

(١٥٨٨) أى: أخو العقل السليم .

(١٥٨٩) والحمام بكسر الحاء، أى: الموت .

(١٥٩٠) القصص من الآية ٨٨ .

(١٥٩١) سورة الرحمن: ٢٦، ٢٧ .

(وعلى) هذا، فإنه ينبغي على الأخ المسلم .. إذا أراد أن لا يُشغل عن الهدف الأسمى الذى من أجله خلقه الله تبارك وتعالى .. وهو أن يعبده ويوحده : أن لا يكون من عبَاد الدنيا .. بتلك الصورة المشار إليها فى الحديث الصحيح الذى ورد:

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تَعَسَّ (١٥٩٢) عبد الدينار وعبد الدرهم، وعبد الخميصة (١٥٩٣)، إن أُعطيَ رَضِيَ، وإن لم يُعطِ سَخِطَ (١٥٩٤)، تَعَسَّ وانتَكَسَ (١٥٩٥)، وإذا شِيكَ فلا انتَقَشَ (١٥٩٦)، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعثَ رأسه، مُغْبِرَةً قدماه (١٥٩٧)، وإن كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى السَّاقَةِ كان فى السَّاقَةِ (١٥٩٨)، وإن استأذن لم يُؤذَنُ له، وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ). [رواه البخارى]

(وعن) أبى موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى). [رواه أحمد ورواته ثقات، والبزار وابن حبان فى صحيحه، والحاكم والبيهقى فى الزهد وغيره، كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبى موسى، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما].

(والمعنى) المشار إليه فى الحديث الأخير: أن مَنْ مال إلى الدنيا، فأحبَّها، وتعلَّقَ بها، وأكبَّ على جمعها وتحصيلها (أضَرَ) بآخِرته، أى: نقص حظه منها، لأن الدنيا شغلته عن العمل لها - والعكس كذلك هو الصحيح بالنسبة لحب الآخرة -.

---

(١٥٩٢) أى: عثر وأكبَّ على وجهه، وهو دعاء عليه بالهلاك والحية.

(١٥٩٣) ثوب خز أو صوف مُعَلَّم، وقيل: ثوب أسود مُربع وجمعها خمائنص.

(١٥٩٤) أى: أظهر السخط والجزع.

(١٥٩٥) قال فى النهاية: (أى انقلب على رأسه ..).

(١٥٩٦) أى: إذا دخلت فى رجله شوكة فلا أخرجت منها بالمتقاش وهو ما يُنقش به.

(١٥٩٧) وذلك لكثرة أسفاره وعدم اهتمامه بهيئته.

(١٥٩٨) الساقاة جمع سائق، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة، ويكونون من ورائه يحفظونه.

(ولهذا) فقد قال النبي صلوات الله وسلامه عليه بعد هذا: (فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى)، أى: اختاروا الآخرة الباقية على الدنيا الفانية .. فإن العاقل لابد أن يؤثر الدائم الباقي من اللذات على القليل المنقطع منها: ﴿بَلْ تُوَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا \* وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى \* إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ (١٥٩٩).

(وقد) ورد فى صحف إبراهيم وموسى أن الله تعالى قال مخاطباً الدنيا: (يا دنيا، ما أهونك على الأبرار الذين تزينت لهم .. إني قذفتُ فى قلوبهم بَعْضَكَ والصبرَ عنك.. ما خلقتُ خلقاً أهونَ علىَّ منك .. إني قضيتُ عليكِ يومَ خلقتكِ أن لا تدومى لأحدٍ، ولا يدوم لك أحدٌ) .

(وإذا) كان لى بعد هذا .. أن أشيرَ إلى المعنى المراد من قول الرسول ﷺ - فى الأحاديث الأربعة - : (ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ ..)، فإنه صلوات الله وسلامه عليه يشير إلى داء الطمع الذى أُصيب به أكثرنا .. والذى قال عنه النبي ﷺ، مُحَدِّراً منه: (.. وإياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر ..) (١٦٠٠)، أى: أن المصاب بداء الطمع - والعياذ بالله - لن يشعر بالغنى أبداً .. لأنه سيظل محتاجاً .. (وبالتالى) فإنه لن يكون شاكراً لله تعالى على ما أعطاه، أو ما سيعطيه إياه .. لأنه ينظر إلى من فوقه فى المال .. ولا ينظر إلى من تحته فيه .. ولو فعل هذا .. لعلم أنه من كبار الأغنياء بفضل الله؛ لأن غيره قد لا يملك معشار ما يملكه هو .. (وقد) قرأت توضيحاً لهذا:

(عن) أبى عبد الرحمن الحبلى قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص، وسأله رجل فقال: ألسنتُ من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبدالله: ألكَ امرأة تأوى إليها (١٦٠١) ؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه (١٦٠٢) ؟ قال: نعم . قال: فأنت

(١٥٩٩) سورة الأعلى: ١٦ - ١٩ .

(١٦٠٠) رواه الطبرانى فى الأوسط والعكرى عن جابر .

(١٦٠١) أى: تسكن إليها وتستمع بها .

(١٦٠٢) وفى بعض الروايات: (تسكن إليه) أى: تأوى إليه وتقيم فيه .

obeikandi.com

(وفى) رواية لمسلم قالت: لقد مات رسول الله ﷺ، وما شبع من خبز وزيت فى يوم واحد مرتين (١٦١٠).

(وفى) رواية للبيهقى، قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام متوالية، ولو شئنا لشبعنا (١٦١١)، ولكنه كان يُؤثر على نفسه (١٦١٢).

فليكن هذا، هو مفهومنا وتصرفنا، حتى لا نكون من أبناء الدنيا، (بل) وحتى لا نكون من المصابين بداء الطمع .. الذى لا بد أن نميته فى قلوبنا .. كما فعل الإمام الشافعى رحمه الله الذى يقول:

أمتٌ مطامعى فأرحتُ نفسى  
وأحييتُ القنوعَ وكان ميثاً  
فإن النفسَ ما طمعتُ تهونُ  
وفى إحيائه عرضي مصونُ  
إذا طمَعٌ يحلُّ بقلبِ عبْدٍ  
علتهُ مهانةٌ وعلاه هُونُ

■ وكان رحمه الله - أيضاً - يقول:

أنا إن عشتُ لستُ أعدمُ قوتاً  
همتى همةُ الكرامِ ونفسى  
أو إن متُّ لستُ أحرَمُ قبراً  
نفسُ حُرٍّ ترى المذلةَ كُفراً  
والله ولى التوفيق،،

(١٠٧) زَوَدْنَا بِبِفَضِّ تَخْذِيرَاتِكَ ..

يَا رَسُولَ اللَّهِ .. هَتَّى نَجْتَنِبَهَا

عن أنسٍ رحمه الله أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: أوصنى؟ فقال له: (إياك وكلُّ أمر يُعْتَدَرُ منه)

(١٦١٠) يعنى: أنه لم يأكل فى يوم واحد أكثر من مشبعتين.

(١٦١١) أى: لو أحيينا أن نشبع من الطعام لوجدنا منه ما يكفى لذلك.

(١٦١٢) يعنى: أنه صلوات الله وسلامه عليه كان يبعث بفضل طعامه - أى: بالزائد منه - إلى غيره إشاراً منه وتفضلاً.

[أخرجه ابن أبي عاصم، والضياء المقدسى فى المختارة (١٦١٣)، وهو فى الصغير برقم ٢١٨٨ الضياء المقدسى عن أنس ولم يُرْمَز له بشيء، وقال المناوى فى شرحه عن أنس: قال رجل: يا رسول الله أوصنى .. فذكره، ورواه أيضاً الديلمى فى مسند الفردوس وسنده حسن]

قال: وأخرجه البخارى فى تاريخه وأحمد، والطبرانى فى الكبير بسند جيد عن سعد بن عبادة الأنصارى وله صُحبة موقوفاً: (انظر إلى ما يُعْتَدَرُ منه من القول والفعل فأجْتَنِبْه) .

وأخرجه الحاكم فى المستدرک من حديث سعد، والطبرانى فى الأوسط من حديث ابن عمر وجابر بلفظ: (إياك وما يُعْتَدَرُ منه): أى: لا تَقُلْ قَوْلًا، ولا تفعل فعلاً .. إلا بعد دراسته والتفكير فيه .. وفى نتائجه .. (حتى) لا تكون النتائج عكسية لما كنت تريده، أو ترجوه .. بسبب تسرعك .. فى القول، أو فى الفعل .. ثم تراك بعد ذلك تحاول الاعتذار.. أو تبرير موقفك .. (وقد) يُقْبَلُ منك هذا الاعتذار.. وقد لا يُقْبَلُ .. لأنه سيكون قد حدث بسبب تسرعك.. ما لا يُعْتَدَرُ منه (بل) ربما أدى إلى هلاك البعيد، أو وقوعه فى مُساءلة.. قد لا تنتهى مشاكلها .

(وعن) العاص بن عمرو الطفاوى عن عمته، أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: أوصنى؟ فقال: (إياك وما يسوء الأذن).

[أخرجه أحمد، وابن منده، وأبو نعيم عن حبيب بن الحارث بن سعد، والطبرانى فى الكبير .. (والحديث) فى الصغير برقم ٢٨٨٩ عن الإمام أحمد، عن أبى الغادية، وأبو نعيم فى المعرفة عن حبيب بن الحرث، والطبرانى فى الكبير عن عمه العاص بن عمرو الطفاوى، وقال المناوى: (أبو الغادية) بغين معجمة فى خط المصنف . قال: خرجت أنا وحبيب بن الحرث وأم العلاء مهاجرين إلى رسول الله ﷺ فأسلمنا، فقالت المرأة: أوصنى، فذكره . وهو فى جمع الجوامع رقم ٣٧ - ٩٢٨٧].

(١٦١٣) والحديث فى جمع الجوامع رقم ٣٦ - ٩٢٨٦.

(ومعناه) العام والخاص .. أنه ينبغي على الإنسان العاقل - ذكراً كان أو أنثى - أن يُنَزَّهَ سمعه عن كل قول مُشِينٍ .. (وأعنى) بهذا أنه يتقى مجالس السوء التي لا يُذكر فيها غالباً إلا كُلُّ قولٍ رُخِصَ .. حتى لا يكون قد استمع إلى ما يسوء أذنه (بل) وحتى لا يكون شريكاً لهذا المسيء في الإثم.

(فقد) ورد في الحديث الشريف: (المَغْتَابُ والمُسْتَمِعُ شريكانِ في الإثمِ)، اللهم إذا استطاع بتوفيق من الله .. أن يُدَبِّ الغيبة عن أخيه.. أو أن يغير هذا المنكر.. بيده إن كان مسئولاً .. أو لسانه إذا كان عالماً .. وإذا كان غير هذين .. فإنه ينبغي عليه أن يستنكر هذا - ولو بقلبه - وهو يقول: اللهم إن هذا عمل باطل فغيره .. (وعليه) أن يقوم فاراً من هذا المكان، وهو يقول الدعاء الوارد في كفارة المجلس: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) (١٦١٤).

(وعليه) أيضاً في المقابل لهذا .. أن يُغَيِّرَ اتجاهه، بمعنى أن يتجه إلى أماكن الخير.. ومجالس العلم النافع حتى يستمع هناك إلى ما يسرُّ أذنه، وقلبه .. وحتى يكون بهذا إن شاء الله تعالى من أهل الخير لا من أهل الشر.

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إِيَاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوَّ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ).

[أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول (والحديث) فى جمع الجوامع رقم ٤٦ - ٩٢٩٦] (وقد) قال فى النهاية ج٤ ص ٢٨٠ (إِيَاكَ وَاللَّوْ، فَإِنَّ اللَّوَّ مِنَ الشَّيْطَانِ) وقال صاحب النهاية: يريد قول المتقدم على الفأنت: لو كان كذا لقلت كذا وفعلت، وكذلك قول التمنى لأن ذلك من الاعتراض على الأقدار. وقال: والأصل فى لَوْ ساكنة الواو، وهى حرف من حروف المعانى يمتنع بها الشئ لامتناع غيره، فإذا سَمِيَ بها زيدَ فيها واو أخرى، ثم أُدِغِمَتْ وشُدِّدَتْ حَمَلًا على نظائرها من حُرُوفِ المعانى .

(١٦١٤) وهو حديث صحيح.

وفى الجزء (١٠) من جامع الأصول لابن الأثير برقم ٧٥٧٠ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (المؤمن القوى خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ . اِحْرَصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ) (١٦١٥)، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ . فَإِنْ (لَوْ) تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ).

[قال: أخرجه مسلم] (١٦١٦)

(ولهذا) فإنه ينبغي على الأخ المؤمن أن لا يمكّن الشيطان من نفسه .. (بمعنى) أن يتركه يقول ما أشار إليه الحديث: (لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا وَكَذَا ..) لأن هذا القول سيكون معناه أن الشيطان قد فتح له باباً قد لا يستطيع إغلاقه .. (وعليه) أن ينتصر على نفسه وعلى شياطين الإنس والجن بقوله: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن) أو بقوله: (قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ)، فإن هذا سيكون أفضل من (اللَّو) .. والله المستعان.

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إِيَاكَ وَالتَّسْوِيفَ بِالتَّوْبَةِ، وَإِيَاكَ وَالتَّغْرِءَ بِحِلْمِ اللَّهِ عَنكَ). [أخرجه الديلمي]

(والتسويق) أى: المثل والتأخير، نهاية جـ ٢ ص ٤٢٢، والتغرية بالغين: اسم من اغتر بمعنى غفل، والغار الغافل: يقال: فتى غر وفتاة غر لقليل الفطنة للشر . (ومعنى الحديث): تجنبوا التسويق بالتوبة، وبأدروا بها قبل فوات الأوان، ولا تَغْتَرُوا بِحِلْمِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ مَقِيمُونَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٦١٧)

(وهذا) معناه كذلك (وبإيجاز) أنه ينبغي على الأخ المسلم أن يكون حذراً من غضب الله تعالى .. الذى يقول متحدثاً عن نفسه: ﴿عَافِرِ الدَّنْبِ وَقَابِلِ التُّرْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ (١٦١٨) كما يقول: ﴿وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (١٦١٩) أى: عقوبته .. (فإنذا)

(١٦١٥) (تعجزن) بكسر الجيم، وقد تفتح.

(١٦١٧) سورة البروج: ١٢.

(١٦١٦) وكذلك أخرجه أحمد وابن ماجه.

(١٦١٩) آل عمران: من الآية ٢٨.

(١٦١٨) سورة غافر: من الآية ٣.

حدث أن استطاع الشيطان أن يوقعه فى شباكه فإنه ينبغى عليه أن يعود سريعاً إلى الله تبارك وتعالى بالتوبة الصادقة .. وهو يعتقد اعتقاداً جازماً بأن الله تعالى غفور رحيم .. أحنُّ على عبده من الوالدة على ولدها.

(وعليه) أن يحذر التسويف فى التوبة .. لأن هذا سيكون معناه أنه لا يعلم أن الموت يأتى بغتة .. (وأنه) عندما سينتهى أجله .. لن تكون هناك فرصة لهذه التوبة التى لا يبد أن تكون قبل الموت - وقبل الغرغرة - .. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التُّوبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَتَسَتْ التُّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾ (١٦٢٠) . والله ولى التوفيق،،

**(١٠٨) بماذا تُرْفَبُنَا .. وبماذا تُرْهَبُنَا ..**

**إِذَا أُرِدْنَا السَّفَرَ لَيْلاً .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟**

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (عليكم بالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الْأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ).

[رواه أبو داود(وكذلك) رواه الحاكم والبيهقى وقال شارح الجامع. إسناده صحيح] فمعنى (عليكم بالدُّلْجَةِ)، أى: تحرَّروا السفر أثناء الليل.. (والدلجة) بضم فسكون، وقد تُفْتَحُ الدال، هى الاسم من الإدلاج وهو سير الليل كله، أو السير فى آخر الليل، وفى الحديث: (استعينوا بالعدوة والروحة وشيء من الدلجة) وجملة (فإن الأرض تُطوى بالليل): تعليل للأمر بالسفر فى الدلجة لأنها أنشط للمسافر وأبعد عن حر النهار ووهج الشمس، فيخف السير ويسهل حتى كأن الأرض تُطوى للمسافر .. (وأصل) الطى ضم أجزاء الشيء بعضها إلى بعض وليس المراد هنا .. بل ذلك كناية عن سهولة السير وعدم المشقة، فيقطع

(١٦٢٠) النساء: الآية ١٧، ١٨.

المسافر من المسافة البعيدة ما لا يقطعه فى النهار .. خصوصاً آخر الليل الذى هو وقت التنزُّل الإلهى، وإفاضة الرحمة والتجليات .

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تُرسلوا مواشيكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء) [رواه مسلم وأبو داود والحاكم ولفظه: (احبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء، فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين) وقال: صحيح على شرط مسلم] (١٦٢١).

فمعنى: (لا تُرسلوا مواشيكم)، أى: لا تُطلقوها فى المرعى واحبسوها فى حظائرها . و(إذا غابت الشمس)، أى: إذا غربت وأقبل الليل بظلمته. و(فحمة الليل)، أى: أشد سواده، وجمعها فحام وفحوم. (فإن الشياطين تبعث) أى: ترسل وتطلق .. وفى رواية (تبعث)، أى تفسد وتضر ويكثر أذاها . و(احبسوا صبيانكم..)، أى: امنعوهم من الخروج من البيوت بعد الغروب (حتى تذهب فوعة العشاء)، قال المناوى: (أى: أشد سوادها وظلمتها .. والمراد أول ساعة من الليل ..).

و(تخترق فيها الشياطين)، أى: تنتشر، وقيل: معناه تنتشر مع إفساد، وإنما خص أول الليل لأنه أول خروجهم من الحبس .. فإضرارهم فيه أشد .. وخص الصبيان لأنهم لا يحترزون عن النجاسة ويغفلون عن ذكر الله كثيراً .. والشياطين يألفون النجاسة خصوصاً إذا لم يكن ذكر .. (والمراد) بالشياطين هنا، أى: مردة الجن وعتاتهم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه - أيضاً - قال: قال رسول الله ﷺ: (أقلوا الخروج إذا هدأت الرجل. إن الله عز وجل يبتئ فى ليله من خلقه ما يشاء).

[رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه، واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم . (وكذلك) رواه الإمام أحمد رحمه الله والنسائى وقال شارح الجامع: وهو حديث صحيح] .

---

(١٦٢١) رواه الحاكم فى الأدب من حديث جابر وقال شارح الجامع: إسناده صحيح .

فمعنى (أَقْلُوا الخُروج)، أى: لا تُكثروا الخُروج من منازلكم، وفى رواية: (أقل) بالإفراد .. (إذا هدأت الرَّجُل)، أى: إذا سكن الناس عن المشى فى الطريق ليلاً .. و (إن الله عز وجل يبيُّثُ) أى: يفرق وينشر<sup>(١٦٢٢)</sup> (فى ليله من خلقه ما يشاء)، وفى رواية: (فإن لله عز وجل دوابَّ يبيُّثُ فى الأرض فى تلك الساعة، فإن خرجتم حينئذ، فإما أن تؤذوهم أو يؤذوكم) . (وإنما) عبَّرَ بقوله: (أَقْلُوا) دون (لا تخرجوا) إشارة إلى أن الخُروج لما لا بد منه لا حرج فيه .

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا سافرتُم فى الخِصْبِ، فاعطوا الإبلَ حظَّها من الأرض، وإذا سافرتُم فى الجُدبِ، فأسرعوا عليها السير، وبادروا بها نقيها، وإذا عرَّستُم فاجتنبوا الطريق فإنها طريق الدواب، وماوى الهوام بالليل). [رواه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى]

فمعنى: (إذا سافرتُم فى الخِصْبِ)، أى: فى زمن جودة المرعى وكثرتِه. (فأعطوا الإبلَ حظَّها) وذلك بأن تمكَّنوها من رعى النبات .. وفى رواية (حقها) بالقاف .. ومعناها متقارب . (وإذا سافرتُم فى الجُدبِ) أى: فى زمان يُيسُّ الأرض وقلة المرعى، وفى رواية: (وإذا سافرتُم فى السنة) وهى بالفتح الجُدب والقحط. (فأسرعوا عليها السير) أى: لتقرب مدة سفرها فتصل إلى غايتها وبها قوَّة .. ولا تُبطئوا فى السير فيلحقها الضرر والتعب لقلة المرعى .. فتضعف من الجوع وربما توقفت عن السير .. أو قبل أن يذهب مخُّها من ضنك السير والتعب، وهذا هو معنى (نقيها) بكسر النون وسكون القاف بعدها ياء مثناة تحت .. أى: مخها، أو مخ العظم.

(والمراد) الحث على الرفق بالدواب، ومراعاة مصلحتها بتقليل السير فى الخِصْبِ حتى تأخذ حظها من المرعى .. والإسراع فى الجُدب قبل أن ينهكها الجوع. (وإذا عرَّستُم) أى: إذا نزلتم آخر الليل للاستراحة (فاجتنبوا الطريق فإنها طريق الدواب، وماوى الهوام بالليل) أى: لأن الحشرات وذوات السموم والسباع وغيرها تمشى على الطريق بالليل لتأكل ما فيها، وتلتقط ما يسقط من المارة.

(١٦٢٢) أى: فوق سطح الأرض.

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إياكم والتعريسَ على جَوَادِ الطَّرِيقِ، وَالصَّلَاةَ عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا مَأْوَى الْحَيَاتِ وَالسَّبَاعِ، وَقَضَاءَ الْحَاجَةِ عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا الْمَلَاعِنُ). [رواه ابن ماجه، ورواه ثقات]

فمعنى (إياكم والتعريس<sup>(١٦٢٣)</sup> على جواد الطريق) أى: احذروا النزول آخر الليل لتستريحوا على جواد الطريق أى: معظمه ووسطه، وكذلك احذروا (الصلاة<sup>(١٦٢٤)</sup> عليها) أى: واتخاذها أماكن للصلاة (فإنها مأوى الحيات والسباع، وقضاء الحاجة عليها) أى: التغوط فيها، وقضاء بالنصب أيضاً عطف على التعريس .. يعنى: احذروا أن تفعلوا واحداً من هذه الأمور الثلاثة فى وسط الطريق حيث يمر الناس (فإنها الملاعن) جمع ملعنة، وهى الفعلة التى يُلعن بها فاعلها .. كأنها مظنة للعن ومحل له .. وهى أن يتغوط الإنسان على قارعة الطريق، أو ظل الشجرة، أو جانب النهر .. فإذا مر بها الناس وتلوثوا بها لعنوا فاعلها .. (هذا) بالإضافة إلى أن جواد الطريق: مأوى الحيات، والسباع .. كما أشار الحديث .

وعن أبى ثعلبة الخُشْنِيُّ رضي الله عنه قال: كان الناس إذا نزلوا تفرَّقوا فى الشُّعَابِ<sup>(١٦٢٥)</sup> والأودية<sup>(١٦٢٦)</sup>، فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِى الشُّعَابِ وَالْأوديةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلاً إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ). [رواه أبو داود والنسائى]

فمعنى: (كان الناس إذا نزلوا) أى: حطُّوا رحالهم أثناء السفر فى أحد المنازل للنوم والاستراحة .. (تفرَّقوا فى الشُّعَابِ والأودية) فقال رسول الله ﷺ: (إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِى الشُّعَابِ وَالْأوديةِ، إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ) وذلك لأن الشيطان هو الذى يُزيِّن لهم التباعد وانفراد بعضهم عن بعض حتى يُضعف الروابط

(١٦٢٣) التعريس: هو نزول المسافر آخر الليل ليستريح.

(١٦٢٤) وهى بالنصب عطف على التعريس.

(١٦٢٥) جمع شُعْبٍ بكسر فسكون، وهو الطريق فى الجبل.

(١٦٢٦) جمع وادٍ، وهو المنخفض بين جبلين.

بينهم، ويحملهم على الأثرة واشتغال كل منهم بنفسه (فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انضم بعضهم إلى بعض) أى: تقاربوا فى المكان وتجمعوا فى جهة واحدة .

هذا مع ملاحظة أنه من السنة - بل من الواجب علينا - أن نعين الرفيق فى السفر.

فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: بينما نحن فى سفر إذ جاء رجل على راحلة له، فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ <sup>(١٦٢٧)</sup> فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ زَادَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ) فذكر من أصناف المال ما ذكره، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل . [رواه مسلم]

وأنه من السنة، إذا ركب المسافر دابته أن يدعو بأدعية السفر التى منها، ما ورد:

عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مَقْرِنِينَ <sup>(١٦٢٨)</sup> وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُقْتَلِبُونَ** <sup>(١٦٢٩)</sup> اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِن الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللهم هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرِنَا هَذَا وَأَطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللهم أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَالخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللهم إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ <sup>(١٦٣٠)</sup> السَّفَرِ وَكآبَةِ <sup>(١٦٣١)</sup> الْمَنْظَرِ وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ <sup>(١٦٣٢)</sup> فِي الْمَالِ

---

<sup>(١٦٢٧)</sup> فإن المعنى: أنه من كان عنده ناقة زائدة عن حاجته فليعطها لمن هو فى حاجة إليها، حتى يستعملها فى ركوبه، ومن كان عنده طعام زائد عن حاجته، فليعطه لمن هو فى حاجة إليه من الفقراء والمساكين. (فالفضل) أى الزائد .. والله أعلم.

<sup>(١٦٢٨)</sup> مقربين، أى: مطيقين .

<sup>(١٦٢٩)</sup> الزخرف من الآية ١٣، ١٤ .

<sup>(١٦٣٠)</sup> الوعْثاء بفتح الواو وإسكان العين المهملة وبالطاء الثالثة وبالمد، هى الشدة .

<sup>(١٦٣١)</sup> والكآبة بالمد هى: تغير النفس من حزن ونحوه .

<sup>(١٦٣٢)</sup> والمنقلب: المرجع .

والأهل والولد) وإذا رجع قالهِنَّ وزاد فيهنَّ: (آيبون تائبون عابدون، لربنا حامدون).

[رواه مسلم]

والله ولى التوفيق .. والحافظ فى الغدوِّ والتُّرحال.

## (١٠٩) أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ .. يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن أبى موسى رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول الله: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قال: (مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ).

[رواه البخارى ومسلم والنسائى]

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ).

[رواه البخارى ومسلم]

ففى هذين الحديثين الشريفين الصحيحين يشير النبى صلى الله عليه وسلم إلى أهم الأساسيات التى لا يتحقق الإسلام ولا يتأكَّد إلا بها .. وهى:

أولاً: أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك .. وذلك بمعنى أن تحفظ لسانك ويدك من التعرض بالأذى للمسلمين .. فلا تغتاب أحداً، ولا تمشى بنميمة، ولا تشهد زوراً، ولا تسب أحداً، ولا تضرب بيدك إنساناً، ولا تسرق بها مالا، ولا تُشير بها إلى أحد استهزاءً .. الخ .

(ويوم) أن يتحقق هذا .. فإن هذا سيكون معناه أن هذا المسلم .. سيكون قد تعاون مع إخوانه المسلمين على تحقيق سلامة المجتمع من مظاهر الاعتداء، وأنواع الشر والإيذاء التى من شأنها أن تجعل الأفراد مُهدِّدين وغير مطمئنين على نفس ولا على مال .. ولا عرض .

وقد ورد الترهيب من فعل كل هذا:

فعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه رفعه قال: (إذا أصبح ابنُ آدمَ، فإن الأعضاء كُلُّها تُكفِّرُ اللسانَ، فنقول: اتق اللهَ فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمتَ

استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا).

[رواه الترمذى وابن أبى الدنيا وغيرهما، وقال الترمذى: رواه غير

واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعه قال: وهو أصح]

وكان الأعضاء تقول للسان: أنت المُعبرُ عنا .. وأنت رائدنا .. فإما أن تقودنا إلى النجاة، وإما أن تُوقِعنا فى الهلكة .. والعياذ بالله .

وعن أبى وائل عن عبدالله رضي الله عنه أنه ارتقى الصفاً (١٦٣٣)، فأخذ بلسانه، فقال: يا لسانُ قلْ خيراً تغنم (١٦٣٤)، واسكُتْ عن شرِّ تسلّم (١٦٣٥) من قبل أن تندم (١٦٣٦)، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أكثرُ خطأ ابنِ آدمَ فى لسانه).

[رواه الطبرانى، ورواه رواية الصحيح، وأبو الشيخ فى الثواب والبيهقى بإسناد حسن]

وفى حديث رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه .. وقال عنه الترمذى أنه حديث حسن صحيح .. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه بعد أن أخبره بالأعمال التى إن عملها كان من أهل الجنة، لا من أهل النار: (.. ألا أخبرك بملاك (١٦٣٧) ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله . قال: كُفَّ عليك هذا، وأشار إلى لسانه - أى: يقول معاذ - قلت: يا نبى الله، وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: تَكَلَّمْتُ أُمَّكَ (١٦٣٨)، وهل يكبُّ الناسَ فى النارِ على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائدُ ألسنتهم) .

كما ورد النهى عن ترويع المسلم .. والإشارة إليه بسلاح ونحوه جداً

(١٦٣٣) أى: صعد على جبل الصفا .

(١٦٣٤) أى: تظفر بأجر ذلك وثوابه .

(١٦٣٥) أى: تنج من العذاب والمواخذة .

(١٦٣٦) ولا ينفع الندم .

(١٦٣٧) الملاك بكسر الهمزة وفتحها لغة أى: بما به يملك الإنسان ذلك كله بحيث يسهل عليه جميع ما ذكر .

(١٦٣٨) أى: فقدتكَ .. وهذه مداعبة من النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل - على عادة العرب - وليست دعاء

عليه .. وكأنه صلوات الله وسلامه عليه يريد أن يقول لمعاذ: اتبه يا معاذ .. وافهم ما يقال حتى

تنفذ المراد منه .

أو مازحًا، (فعن) عبد الرحمن بن أبي لیلی قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبلٍ معه فأخذه (١٦٣٩)، ففزعَ (١٦٤٠)، فقال رسول الله ﷺ: (لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْوَعَ مُسْلِمًا) (١٦٤١) [رواه أبو داود]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قال: (لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسَّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ) . [رواه البخاري ومسلم]

وعنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم ﷺ:

(مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ (١٦٤٣)، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ (١٦٤٤) حَتَّى يَنْتَهِيَ، وَإِنْ كَانَ أَحَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ (١٦٤٥)) [رواه مسلم]

وثانِيًا: فَإِنَّ الْمُهَاجِرَ الْمَشَارَ إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ الثَّانِي - مَوْضُوعِ الْفَتْوَى - هُوَ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ .. (بِمَعْنَى) أَنْ يَتْرَكَ كُلَّ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ النَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ .. وَالشَّيْطَانُ .. وَكُلَّ الْمَغْرِبَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ الَّتِي يَزِينُهَا لِأَهْلِ الْأَهْوَاءِ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ .. كَمَا يُشِيرُ إِلَى هَذَا قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿... شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ..﴾ (١٦٤٦) .

وقد يكون من السَّهْلِ جَدًّا أَنْ يَتَغَلَّبَ الْمُؤْمِنُ عَلَى شَيَاطِينِ الْجِنِّ .. وَذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ بِقِرَاءَةِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ، أَوْ الْمُعَوِّذَتَيْنِ (١٦٤٧) .. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ .. وَغَيْرِهِمَا مِنَ التَّعَاوِذِ النَّبَوِيَّةِ الَّتِي مِنْهَا: (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ

(١٦٣٩) يعنى: أخذ منه الحبل خفية.

(١٦٤٠) أى: قام من نومه مُرتاعًا.

(١٦٤١) أى: يخيفه ويفزعه .. وقوله (لا يحل) يفيد أنه حرام.

(١٦٤٢) ينزع بكسر الراء: أى يرمى .. وأصل النزع: الطعن والفساد.

(١٦٤٣) أى: بقطعة أو بعضًا من الحديد على جهة التهديد.

(١٦٤٤) أى: تدعو عليه باللعة لترويعه المسلم.

(١٦٤٥) أى: وإن كان شقيقًا له فلا يجوز له أن يروعه.

(١٦٤٦) الأنعام: من الآية ١١٢.

(١٦٤٧) أو بقراءتهما معًا.

التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة)، (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) .

أما بالنسبة لشياطين الإنس فإنهم يتطلبون قوة إيمانية .. بالإضافة إلى الاستعانة بالله تعالى عليهم .. وذلك بالإكثار بصفة خاصة من ذكر الله تعالى الذى يقول: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (١٦٤٨) وهذا معناه كذلك أن ذكر الله تعالى سيكون حصانة له من جميع شياطين الإنس والجن، بل وسيكون سبباً فى الصلة الوثيقة التى ستكون بينه وبين الله تعالى الذى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ (١٦٤٩) .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من كل هذا التذكير، وينفذه حتى يكونا إن شاء الله تعالى من المسلمين حقاً .. بل وحتى يكونا من المشار إليهم فى قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَّصِدِّقِينَ وَالْمُتَّصِدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٦٥٠) .

وعليهما كذلك أن يهجرا كذلك جميع الفتر ما ظهر منها وما بطن .. حتى يكونا إن شاء الله من أهل السلامة فى الدنيا والآخرة .. والله ولى التوفيق،،

## (١١٠) ما هى الحسنه التى سيفوز بها الرجل الذى يستخلصه الله تعالى على رءوس الخلائق يوم القيامة .. يا رسول الله؟

عن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: (إن الله عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة ، فيُنشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ

(١٦٤٨) الزخرف: ٣٦ .

(١٦٤٩) البقرة: من الآية ١٥٢ .

(١٦٥٠) الأحزاب: ٣٥ .

وتسعون سجلاً (١٦٥١)، كل سجل مدّ البصر، فيقول: أتُنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أظلمك كتبتني الحافظون؟ فيقول: لا يارب. فيقول: أفلك عذراً أو حسنة؟ فيقول: لا يارب. فيقول الله عز وجل: بلّى، إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم: فيُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله. فيقول: احضر وزنك. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لن تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة. فطاشت (١٦٥٢) السجلات وتقلت البطاقة. ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء).

[أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وقال: حسن غريب. والبيهقى والحاكم

وقال: صحيح على شرط مسلم]

ففى هذا الحديث الشريف يشير النبى ﷺ إلى ملاحظة هامة ينبغى أن لا تغيب أبداً عن قلوبنا .. وهى أنه لن يكون هناك ظلم أبداً فى يوم القيامة .. (وذلك) لأن الله تعالى يقول:

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِمَا حَاسِبِينَ﴾ (١٦٥٣)، ويقول: ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ \* وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ (١٦٥٤) ويقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ \* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ \* وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ \* فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ \* نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (١٦٥٥).

(مع ملاحظة): أن الميزان المشار إليه .. ذو كفتين ولسان - كالميزان المعهود - وأنه ستوزن فيه أعمال من يحاسبُ بقدرة الله تعالى دفعة واحدة . (والصنّج) مثاقيل الذرّ والخردل: تحقيقاً لإظهار تمام عدل الله تبارك وتعالى الذى حرّم

(١٦٥١) السجلات جمع سجل . وهو الكتاب الكبير . والبطاقة : رقعة صغيرة يثبت فيها ما يحصل .

(١٦٥٢) طاشت: أى خفت .

(١٦٥٣) الأنبياء: ٤٧ .

(١٦٥٤) الأعراف: ٨ ، ٩ .

(١٦٥٥) القارعة: ٦ - ١١ .

الظلم على نفسه وجعله بيننا محرماً .. (ففى) الحديث القدسى الصحيح (١٦٥٦)  
يقول تبارك وتعالى: (يا عبادى، إني حرّمتُ الظلمَ على نفسى وجعلتهُ بينكم  
مُحرّماً فلا تظالموا ..) وهذا معناه أن الظلم مستحيل فى حق الله تعالى، لأن  
الظلم معناه مجاوزة الحد والتصرف فى ملك الغير، وهما جميعاً محال فى حق  
الله تعالى .. (ولهذا) فقد قال الله تعالى للرجل الذى استخلصه - كما جاء فى  
نص الحديث -: (وإنه لا ظلم عليك اليوم)

(وهذا) معناه كذلك أنه لن يضيع حقٌ لأى مخلوق فى هذا اليوم الآخر الذى  
هو يوم المحاسبة .. (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ  
مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ  
دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخَذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ  
لَهُ حَسَنَاتٌ أَخَذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ). [رواه البخارى]

هذا، وإذا كان موضوع الحديث الذى ندور حوله .. هو (الحسنة) التى كانت  
سبباً فى أن البطاقة قد ثقلت - فى الميزان - بعد أن طاشت السجلات .. (وأن)  
الحسنة هى: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. فإنه حسبنا أن نعلم  
أن هذه الحسنة، هى (الركن الأول) من أركان الإسلام .. كما أجاب النبى صلى الله عليه وسلم  
فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم عندما سأله جبريل عليه السلام عن  
الإسلام، فقال: (الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله،  
وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، إن استطعت  
إليه سبيلاً..).

(وعن) عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما أنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:  
(بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ،  
وإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ <sup>(١٦٥٧)</sup>، وَصَوْمِ رَمَضَانَ).

[رواه البخارى ومسلم]

(١٦٥٦) رواه مسلم.

(١٦٥٧) وقد جاء فى رواية أخرى تقديم الصوم على الحج .. وقد قدم الحج فى تلك الرواية المذكورة  
على الصوم من باب الترتيب فى الذكر دون الحكم؛ لأن صوم رمضان وجب قبل الحج.

وإذا كان معنى: (أشهد أن لا إله إلا الله)، هو: أقر وأعترف عن علم وإذعان بأنه لا معبود بحق إلا الله، فإنه ينبغي على المسلم أن يكون منفذاً لهذا المعنى .. بمعنى أن يعبد الله تعالى وحده عبادة خالصة لوجهه سبحانه وتعالى .. لأنه لا معبود بحق إلا الله .. وهذا هو معنى كلمة التوحيد .. وهى: (لا إله إلا الله) التى لا بد أن تكون مؤكدة فى جميع عباداتنا ومعاملاتنا، (حتى) نعبد الله تعالى .. كأننا نراه .. بتلك الصورة الإيمانية التى لا بد أن تكون واضحة فى جميع ميادين أعمالنا: وفى بيوتنا، ومع زوجاتنا، وأبنائنا، وجيراننا .. بل وزملائنا .. والتى تفيد بأننا نخشى الله تعالى ونتقيه.

وإذا كان معنى: (وأشهد أن محمداً رسول الله) هو: أقر وأعترف عن علم وإذعان أن محمداً مُرسلاً من ربه بالحق، وأن كل ما بَلَغَ عن ربه حق وصدق .. فإنه ينبغي على المسلم - كذلك - أن يكون مُنفِذاً لهذا المعنى .. بمعنى أن يكون منفذاً للمراد من قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١٦٥٨)، وأن يكون أيضاً فى نفس الوقت مُتَّبِعاً له صلوات الله وسلامه عليه حتى يكون بهذا أيضاً مؤكِّداً لحبه لله تعالى (١٦٥٩) الذى يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ (١٦٦٠) ويقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (١٦٦١) ويقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (١٦٦٢).

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن أَبِي) قيل: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: (مَن أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَن عَصَانِي فَقَدَ أَبِي).

[رواه البخارى]

(١٦٥٨) الحشر: من الآية ٧ .

(١٦٥٩) بل وحبه لرسول الله ﷺ .

(١٦٦٠) آل عمران: من الآية ٣١ .

(١٦٦١) الأحزاب: من الآية ٢١ .

(١٦٦٢) النساء: الآية ٦٥ .

ولابدُّ أيضاً - فى نفس الوقت - أن يكون مُنفذاً لجميع أركان الإسلام - بالإضافة إلى الركن الأول - بمعنى: أن يقيم الصلاة، أى: يؤديها فى أوقاتها بكامل هيئتها وخشوعها وطمأنينتها.. (وأن) يؤدي الزكاة، وهى مال مخصوص يُؤخذ من مال مخصوص إذا بلغ قدرًا مخصوصًا<sup>(١٦٦٣)</sup> .. وبدون منٍّ أو أذى، كما يشير إلى هذا نهى الله تعالى فى قوله: **﴿لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾**<sup>(١٦٦٤)</sup> (وأن) يصوم شهر رمضان الذى كتب الله علينا صيامه، كما كتبه على الذين من قبلنا .. بمعنى أن يمكس عن شهوتى البطن والفرج يوماً كاملاً من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس.

(وأن) يؤدي فريضة الحج متى استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو عبادة ذات إحرام، وطواف بالبيت سبعاً، وسعى بين الصفا والمروة سبعاً، ووقوف بعرفة جزءاً من ليلة النحر .

(فهذه) الأركان الخمسة هى الإسلام فى جملته<sup>(١٦٦٥)</sup> وما سواها من الأعمال المتعلقة بالأبدان والأموال تابعة لها .. فمن قدر على أداء هذه الأركان الخمسة سهل عليه أن يؤدي ما سواها من أعمال البر .. (ومن) أخلَّ بركن من هذه الأركان فقد أخلَّ بالإسلام، وأتى على بنيانه من القواعد، فالإسلام يشبه بيتاً له دعائم أو أعمدة، لا يُستغنى عن واحدة منها، فإذا سقطت دعامة انهار البناء وخرَّ السقف من فوقه على من تحته .. اهـ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذهاه .. حتى يكونا إن شاء الله تعالى من أهل هذه (الحسنة) التى هى الأساس فى هذا الموضوع .. (بل) وحتى يكونا إن شاء الله تعالى بتنفيذهما لبقية أركان الإسلام من المسلمين حقاً .. والله ولى التوفيق،،

(١٦٦٣) ويستطيع الأخ القارئ أن يعود إلى تلك الأحكام المتعلقة بالزكاة وأصح .. إلى آخر العبادات فى كتب الفقه ليقتف عليها بالتفصيل .

(١٦٦٤) سورة البقرة آية: ٢٦٤ .

(١٦٦٥) كما جاء فى الجزء الأول (من الفقه الواضح) ص ٩ - ١١ .

## (١١١) أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بِالْدُّعَاءِ الَّذِي إِذَا تَضَرَّعْنَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِهِ .. كَانَ الْفَرْجُ مُحَقَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ

عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن جده رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:  
(أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ، إِذَا نَزَلَ بِرَجُلٍ مِنْكُمْ كَرْبٌ أَوْ بِلَاءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا دَعَا بِهِ يُفَرِّجُ عَنْهُ؟ دُعَاءُ ذِي النُّونِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ).

[أخرجه ابن أبي الدنيا في الفرج، والحاكم في المستدرک، وابن عساکر] (١٦٦٦)  
ففي هذا الحديث الشريف يُذَكِّرُنَا النَّبِيُّ ﷺ بدعاء من أعظم الأدعية القرآنية التي ينبغي علينا نحن المؤمنین الصادقین - إن شاء الله - أن نتضرع إلى الله تعالى به كلما كان هناك ضيق أو كرب .. ألا وهو دعاء سيدنا يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت.

(ولهذا) فإنني أرى - وقبل أن أدور حول هذا الدعاء - أن أذكر الأخ القاري بخلاصة ينبغي عليه أن يعرفها عن (ذی النون) وهو سيدنا يونس عليه السلام .. (وهي) أنه عليه السلام كان قد أرسل إلى قومه (في نينوى) لكي يدعوهم إلى عبادة الله وحده .. وأن لا يعبدوا الأصنام .. ولكنهم لم يستجيبوا له .. وإنما أعرضوا عنه وقالوا له: ما أنت إلا بشر مثلنا وواحد منا .. فما كان منه إلا أنذرهم بعذاب واقع، وبلاء نازل، وهلاك قريب.

فقالوا له: ما نحن بمستجيبين لدعوتك، ولا خائفين من وعيدك، فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقین .. فما كان منه بعد أن ضاق بهم ذرعاً .. إلا أن رحل عنهم مغاضباً لهم، يائساً من إيمانهم .. فماذا حدث منه بعد أن فارقهم .. إنه

---

(١٦٦٦) الحديث في المستدرک ج١ ص ٥٠٥ أورده الحاكم وسكت عنه الذهبي، وفي رواية الحاكم بعض زيادة لا تؤثر في المعنى . والحديث في الصغير برقم ٢٧٦١ برواية ابن أبي الدنيا في الفرج (ك) عن سعد ورمز له بالصحة .

باختصار ذهب إلى البحر .. فوجد هناك قومًا أو جماعة يستعدون للعبور بواسطة سفينة .. فطلب منهم أن يصحبوه معهم .. ويحملوه في سفينتهم .. فرحبوا به ولا سيما عندما لمسوا الصلاح على وجهه.

ثم حدث بعد ذلك، وبعد أن أقلعت السفينة أن هاجت الأمواج .. وهاجمت السفينة الأعاصير التي كادت أن تُغرقها .. ففكر من فيها في حلّ ينقذهم جميعًا من هذا الهلاك الذي أوشك أن يكون حقيقة .. فاتفقوا على أن يلقوا بأحدهم في البحر حتى يخف الحمل .. ولكي يفعلوا هذا بدون ظلم لهذا الذي سيُلقى به استهموا - أي: اقترعوا - فوقع السهم أكثر من مرة على سيدنا يونس، فاستسلم لقضاء الله، ثم ألقى به في اليم.

(وكان) الله سبحانه وتعالى قد أمر الحوت بأن يتحرك ويسير بجوار السفينة .. حتى إذا ألقى بيونس .. التقمه برفق .. وكان الله تعالى قد أوصاه كذلك بأن يبتلعه برفق .. وألا يستعمل معه أسنانه .. وكان الحوتُ فعلاً نِعْمَ المكفُّ .. (ولهذا) فقد ابتلعه برفق ثم غاص به في أعماق البحر .. وكان يطفو به بعد ذلك فوق سطح الماء ثم يغوص وسيدنا يونس في كل أحيانه يسبِّح الله.

وإلى هذا يشير الله تعالى في قوله: ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (١٦٦٧) .. ويظل في بطن الحوت يسبح الله على هذا النحو الذي أشارت الآية إليه .. إلى أن يُلهمه الله بكلمات قالهن كانت سببًا في نجاته .. بل ونجاة كل من يتشبه به من المؤمنين في التصرع إلى الله بهذا الدعاء (١٦٦٨) .

وإلى هذا يشير الله تعالى في قوله: ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغَاضِبًا ﴾ (١٦٦٩) أي: واذكر صاحب الحوت - يونس بن متى - حين ذهب مغاضبًا لربه (١٦٧٠) ﴿ فَكُنْ

(١٦٦٧) الصافات: ١٤٣، ١٤٤.

(١٦٦٨) وهو موضوع الفتوى الذي ندور حوله.

(١٦٦٩) الأنبياء: ٨٧.

(١٦٧٠) ما ذهب إليه ابن جرير أن يونس ذهب مغاضبًا لربه قول مرجوح، والصحيح أنه ذهب مغاضبًا لقومه لا لربه، وهو قول ابن عباس والضحاك .. وهذا هو الصحيح المعتمد.

﴿أَنْ لَّنْ نُقَدِّرَ عَلَيْهِ﴾ أى: فظنَّ يونس أن لن نحبسَه، ونُضَيِّقُ عليه (١٦٧١) عقوبةً له ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ أى: فنادى يونس وهو فى ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ أى: نادى بهذا القول، معترفاً بذنبه، تائباً من خطيئته ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ . أى: فى معصيتى لك ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ﴾، أى: فاستجبنا ليونس دعاءه، ونجَّيناه من غم الحبس فى بطن الحوت ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٦٧٢) أى: وكما أنجينا يونس من الكرب، كذلك ننجى المؤمنين إذا استغاثوا بنا ودعونا - بهذا الدعاء أو بمثل هذا الدعاء.

(وبعد) أن استجاب الله الدعاء من يونس .. أوحى إلى الحوت فى الماء: أن ألق بضيفك فى العراء .. فألقاه على الشاطئ سقيماً هزليلاً .. فأنبت الله عليه شجرة من يقطين (١٦٧٣) .. لكى يستظل بأوراقها، ويأكل من ثمارها .. إلى أن تعود إليه صحته .. ويستطيع أن يعود إلى استئناف رسالته بين قومه الذين كان ينبغى عليه أن لا يفارقهم إلا بأمر من الله .. (وكان) الله تعالى قد كاد أن يهلك قومه .. ولكنهم تضرعوا إلى الله تعالى وهم يبكون .. أن يُعِيدَ إليهم نبيهم (يونس)، لأنه كانت قد اقتربت منهم طلائع الهلاك .. فقبل الله تعالى توبتهم.

(ثم) حدث بعد ذلك، وبعد أن استوى يونس على سوقه، ورجع إلى سابق عهده .. أن أوحى الله إليه أن ارجع إلى بلدك، وموطن آصرتك وعشيرتك، فإنهم آمنوا فنفعهم الإيمان، ونبذوا الأصنام والأوثان .. وإنهم الآن يتحسسون مكانك، ويترقبون مجيئك .. (وفعللاً) فقد عاد يونس إلى قريته .. فوجدهم قد تغيرت أحوالهم .. وأصبحوا مؤمنين بعد أن كانوا كافرين .. فكان أن عاش بينهم بعد ذلك نبياً ورسولاً، ومعلماً وإماماً .. (فعلينا) جميعاً أن نستفيد من هذا الدرس الذى استفاد منه حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. الذى قال الله

(١٦٧١) هذا هو الصحيح فى معنى قوله: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَّنْ نُقَدِّرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أى: ظن أن لن نضيق عليه، فهو كما قال ابن عباس: من القدر لا من القدرة.

(١٦٧٢) الأنبياء: ٨٧، ٨٨. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى مع الهامش بتصرف يسير.

(١٦٧٣) وهى شجرة القرع.

تعالى مخاطباً إياه: ﴿لَا مَسِيرَ لِعُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ (١٦٧٤).

(فليكنُ) هذا هو مفهومنا عن قصة هذا الدعاء القرآني العظيم .. الذي أرجو أن نتفجع به كما انتفج سيدنا يونس عليه السلام، وكما انتفج حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه .. وعباد الله الصالحين .. (ولاسيماً) عند الشدائد والكروب .. بالإضافة إلى الأدعية الأخرى التي منها الدعاء الذي أوصى به النبي ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، وهو:

(قل: اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلماً كثيراً) وفي رواية: (كبيراً، ولا يغفر الذنوبَ إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم) (١٦٧٥).

والتي منها ما ورد: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان من دعاء رسول الله ﷺ:  
(اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمه من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار) (١٦٧٦). اللهم آمين،

## (١١٢) ما هو العملُ الصَّالِحُ الذي يَعْدِلُ حَجَّةَ مَعَكَ .. يا رسول الله؟

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: أراد رسول الله ﷺ الحجَّ، فقالت امرأةٌ لزوجها: أُحْجِّجْنِي (١٦٧٧) مع رسول الله ﷺ، فقال: ما عندي ما أُحْجِّجُكَ عليه (١٦٧٨)، فقالت: أُحْجِّجْنِي على جِملِكَ فُلان (١٦٧٩)؟ قال: ذاك حَبِيسٌ في سبيل الله عز

(١٦٧٤) القلم: من الآية ٤٨. (فصير) حتى أذن له بالهجرة.

(١٦٧٥) متفق عليه.

(١٦٧٦) رواه الحاكم أبو عبدالله وقال: حديث صحيح على شرط مسلم.

(١٦٧٧) وفي رواية (حَجَّجْتَنِي) بتشديد الجيم أي: هين لي راحلة أحج عليها.

(١٦٧٨) أي: ليس عندي من المراكب ما أحملك عليه.

(١٦٧٩) أي: جملك المسمى بكذا وعيَّته له.

وَجَلَّ (١٦٨٠)، فأتى رسول الله ﷺ، فقال: إن امرأتى تقرأ عليك السلام ورحمة الله، وإنها سألتني الحجَّ معك (١٦٨١)، فقلت: ما عندي ما أحججك عليه. قالت: أحججني على جملك فلان، فقلت: ذاك حبيس في سبيل الله عز وجل. فقال: (أما إنك لو أحججتها عليه كان في سبيل الله (١٦٨٢)) قال: وإنها أمرتني أن أسألك ما يعدُّ حجةً معك (١٦٨٣)؟ قال رسول الله ﷺ: (أقرئها السلام ورحمة الله وبركاته، وأخبرها أنها تعدل حجةً، معي عمرةً في رمضان) (١٦٨٤).

[رواه أبو داود وابن خزيمة في صحيحه كلاهما بالقصة،

واللفظ لأبي داود، وآخره عندهما سواء]

ورواه البخارى والنسائى وابن ماجه مختصرًا: (عمرةً في رمضان تعدل حجةً) (١٦٨٥). ومسلم ولفظه قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار، يقال لها أمُّ سنان (١٦٨٦): (ما منعك أن تحجِّي معنا؟) (١٦٨٧) قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان (١٦٨٨) فحجَّ أبو ولدها وابنها على ناضح (١٦٨٩)، وترك لنا ناضحًا ننضح عليه. قال (فإذا جاء رمضان فاعتمرى) (١٦٩٠)، فإن عمرةً في رمضان تعدل حجةً) (١٦٩١) وفي رواية له: (تعدل حجةً، أو حجةً معي) (١٦٩٢).

(١٦٨٠) أى: موقف للجهاد عليه وفي سبيل الله فلا يجوز استعماله فيما عداه.

(١٦٨١) أى: طلبت منى أن أيسر لها الخروج للحج معك لتشهد أعظم حجة وقعت في تاريخ هذا البيت.

(١٦٨٢) فإن الحج أخو الجهاد وكلاهما طاعة لله عز وجل.

(١٦٨٣) يعنى: أى شئ يساوى شهود الحج معك.

(١٦٨٤) يعنى: أنها إذا اعتمرت في رمضان كانت عمرتها مساوية في الثواب لحجة تشهدها مع رسول الله ﷺ.

(١٦٨٥) وقد أطلق الحجة هنا ولم يقيد بها بكونها مع رسول الله ﷺ، حتى يظل باب الخير مفتوحًا إلى قيام الساعة.

(١٦٨٦) وكان زوجها أبو سنان الأسدى أول من بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة.

(١٦٨٧) لأنه في هذه الحجة العظيمة خرج عامة المسلمين رجالًا ونساء ولم يتخلف عنها إلا من حبسه عذر شديد.

(١٦٨٨) ثنية ناضح وهو الجمل الذى يُستقى عليه.

(١٦٨٩) أى: حج أبو سنان وابنه سنان على أحد الناضحين.

(١٦٩٠) أى: اذهبى لأداء عمرة فيه.

(١٦٩١) وجاءت هذه الرواية عند مسلم مطلقة كذلك من غير تقييد.

(١٦٩٢) والكلام هنا على الشك من الراوى.

وعنه رضي الله عنه قال: جاءت أم سليم<sup>(١٦٩٣)</sup> إلى رسول الله ﷺ فقالت: حجَّ أبو طلحة وابنه وتركانى<sup>(١٦٩٤)</sup> ؟ فقال: (يا أمَّ سليم، عمرةٌ في رمضان تعدل حجةً معي)<sup>(١٦٩٥)</sup> . [رواه ابن حبان في صحيحه]

ففى كل هذه الأحاديث الشريفة - بالإضافة إلى غيرها - كما يقول الإمام الشوكانى عليه رحمة الله: (دليل على أن العمرة فى رمضان تعدل حجةً فى الثواب ، لا أنها تقوم مقامها فى إسقاط الفرض ، للإجماع على أن الاعتمار لا يُجزئ عن حج الفرض) . (ونقل) الترمذى عن إسحاق بن راهويه أن معنى هذه الأحاديث: نظير ما جاء أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن .

(وقال) ابن العربى: حديث العمرة هذا صحيح، وهو فضل من الله ونعمة، فقد أدركت العمرة منزلة الحج بانضمام رمضان إليها . (وقال) ابن الجوزى: فيه أن ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت، كما يزيد بحضور القلب وإخلاص المقصد .

وقد قال الشوكانى أيضاً: (وقد وقع خلاف: هل الأفضل العمرة فى رمضان لهذا الحديث، أو فى أشهر الحج لأن النبى ﷺ لم يعتمر إلا فيها؟ فقيل: إن العمرة فى رمضان لغير النبى ﷺ أفضل، وأما فى حقه فما صنعه فهو أفضل؛ لأنه فعله للرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يُمنعون من الاعتمار فى أشهر الحج) اهـ -<sup>(١٦٩٦)</sup> .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا الخير حتى يحرصا على الفوز به - وفى حدود الاستطاعة - وفى الوقت المناسب لهذا .. والله ولى التوفيق،،

---

(١٦٩٣) وهى أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ ، وامرأة أبى طلحة الأنصارى، وأخت أم حرام بنت ملحان رضى الله عنهم .

(١٦٩٤) كانها تشكو إليه ما فاتها من هذا الخير العظيم بعدم خروجها معه ﷺ .

(١٦٩٥) وفى هذه الرواية جزم بتلك الزيادة من غير شك .

(١٦٩٦) انظر ص ٢٨٧ وما بعدها .. مع الهامش فى (الترغيب والترهيب) ج ٢ بتصرف .

## (١١٣) أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُبَلِّغُنِي عَمَلَ زَوْجِي حَتَّى يَرْجِعَ مِنَ الْفِرَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ . . يَا رَسُولَ اللَّهِ

عن معاذ بن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أن امرأة آتته (١٦٩٧)، فقالت: يا رسول الله انطلق زوجي غازیاً، وكنت أفتدى بصلاته إذا صلّى ويفعله كلّه (١٦٩٨)، فأخبرني بعمل يبلغني عمله حتى يرجع (١٦٩٩)؟ قال لها: (أَتَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقُومِي وَلَا تَقْعُدِي، وَتَصُومِي وَلَا تَفْطُرِي، وَتَذْكُرِي اللَّهَ تَعَالَى وَلَا تَفْتُرِي، حَتَّى يَرْجِعَ (١٧٠٠)؟) قالت: ما أطيقُ هذا يا رسول الله، فقال: (والذي نفسي بيده (١٧٠١)، لو أطقته ما بلغتِ العُشُورَ من عمله). [رواه أحمد من رواية رَشْدِينَ بن سعد، وهو ثقة عنده، ولا بأس بحديثه في المتابعات والرقائق]

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَثَلُ الْمَجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ نَهَارَهُ، الْقَائِمِ لَيْلَهُ حَتَّى يَرْجِعَ مَتَى يَرْجِعُ).

[رواه أحمد والبزار والطبراني، ورجال أحمد محتج بهم في الصحيح]

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَقَامُ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الرَّجُلِ سِتِّينَ سَنَةً).

[رواه الحاكم . وقال: صحيح على شرط البخاري] (١٧٠٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى: إِيْمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ، وَعَزْوٌ لَا غُلُولَ فِيهِ، وَحَجٌّ مَبْرُورٌ).

[رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، وهو في الصحيحين وغيرهما بنحوه] (١٧٠٣)

(١٦٩٧) أى: جاءت إليه في المسجد أو في بيته لتسأله، وكان النساء حريصات على عمل الخير.

(١٦٩٨) يعنى: كنت أساميه في العبادة وأنافسه فيها، فلا يعمل عملاً إلا عملت مثله.

(١٦٩٩) أى: فدللتى على عمل يكون مساوياً لعمله في الجهاد حتى أعمل به إلى أن يرجع.

(١٧٠٠) يعنى: أَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَوَاصِلِي الْقِيَامَ وَالصِّيَامَ وَذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا تَقْطَعِي عَنْ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى يَرْجِعَ.

(١٧٠١) أى: فى قبضة يده سبحانه، فهو ربهام ومولاها يفعل بها ما شاء.

(١٧٠٢) وقال شارح الجامع الصغير (إسناده صحيح).

(١٧٠٣) انظر ص ٤٧٣، ٤٨٨، ٤٨٩ (من الترهيب والترهيب) ج ٢ بتصرف.

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يُنفذاه إذا ما دعا داعى الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال .. والله ولى التوفيق،

## (١١٤) مَا جَزَاءُ مَنْ سَنَّ سُنَّةَ حَسَنَةً ..

### وَمَا جَزَاءُ مَنْ سَنَّ سُنَّةَ سَيِّئَةً يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، أنه قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ فى صدر النهار، فجاء قوم حُفَاءَ عُرَاةٍ مُجْتَابِي (١٧٠٤) النَّمَار (١٧٠٥) مُتَقَلِّدِي السِّيُوفِ عَامَتُهُمْ: بِل كُلِّهِمْ مَنْ مَضَرَ فْتَمَعَر (١٧٠٦) وَجَهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الْفَاقَةِ فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالَ فَاذَّنَ وَأَقَامَ فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴿ (١٧٠٧) وَالآيَةَ الَّتِي فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: **اتَّقُوا اللَّهَ وَتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ** ﴿ (١٧٠٨) تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دَرَاهِمِهِ، مِنْ ثُوبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ . فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بَصْرَةَ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجَزُ عَنْهَا بِلَ عَجَزَتْ. ثُمَّ تَتَابَعِ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ (١٧٠٩) مِنْ طَعَامِ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ (١٧١٠) . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ).

[أخرجه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه]

ففى هذا الحديث الصحيح - ومن خلال عرض السبب فيه - يجيب النبى ﷺ

(١٧٠٤) مجتأبها: أى لابسها.

(١٧٠٥) والنمار: جمع نمره: أى كساء من صوف مخطط.

(١٧٠٦) تمعر: أى تغير.

(١٧٠٧) النساء: من الآية ١.

(١٧٠٨) سورة الحشر: من الآية ١٨.

(١٧٠٩) كومين: بفتح الكاف وضمها: أى صبرتين.

(١٧١٠) مُذْهَبَةٌ: كمرسلة، أى: مستتيرة صافية.

على هذا التساؤل الذى وُجِّه إليه صلوات الله وسلامه عليه لكى يتفضل بالإجابة عليه .. (هذا) بالإضافة إلى ملاحظة هامة لا بد أن يقف عليها الأخ المسلم .. (وهى) أنه ليس المراد بقول الرسول ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً): البدعة الحسنة .. (وذلك) لأنه ليس فى الإسلام ما يسمى بهذا الاسم .. لأن النبى ﷺ قال فى حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه (١٧١١):

(أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة).

ولكن من الممكن أن تكون البدعة الحسنة هذه فى الدنيا .. (لأن) النبى ﷺ أخبر بأن كل بدعة ضلالة، فإن لفظ (كل) موضوع للأفراد .. فمعنى الحديث (١٧١٢) أن كل فرد من أفراد البدع ضلالة، وموضوعه العبادة كما علمت.

(ومن) ادعى أن الحديث دخله التخصيص بحديث: (من سنَّ فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء، ومن سنَّ فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شىء): (فدعواه) باطلة، لأن الحديث إنما ورد فى الحث على مكارم الأخلاق العادية التى بها ارتباط القلوب واتفاق الكلمة والقضاء على أسباب التباعد والنفور، وأيضاً فإن الاستئنان فيه ليس المراد به الاختراع (١٧١٣)، وإنما المراد به العمل بما ثبت من

(١٧١١) وهو حديث أخرجه أحمد وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم وصححه البيهقى والترمذى. وقال: حسن صحيح.

(١٧١٢) أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(١٧١٣) الاختراع: أى الإنشاء، وإلا كان تشريعاً وهو ليس لأحد كائناً من كان، قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ {هود: ١١٢} وهذا أمر له ﷺ بالاستقامة ومن تاب معه على ما ينزل عليه من عند الله لا من عنده بحسب رأيه وهواه، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ {١٥٥} النساء لم يقل الله تعالى لنبى ﷺ وهو المعصوم: بما رأيته: بل ﴿بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ وفى هذا غاية البيان لمن شرح الله صدره للاتباع والبعث عن الابتداع.

السنة النبوية .. (وذلك) لأن سبب حديث - جرير بن عبدالله - هو الحث على الصدقة المشروعة .. (كما) جاء فى نصه.

(قال) فى الاعتصام: فتأملوا أين قال رسول الله ﷺ: (من سنَّ سنةً حسنةً)؛ تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يُقدر عليه، حتى أتى بتلك الصِّرة فافتح بسببه بابُ الصدقة على الوجه الأبلغ، فسُرُّ بذلك رسول الله ﷺ حتى قال: (مَنْ سنَّ فى الإسلام ..) الحديث . فدلَّ على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابى . وهو العمل بما ثبت كونه سنةً. ١ هـ ص ٢٢٩ ج ١ .

وقال فى (الدين الخالص) ج ١ ص ٦ وما بعدها: (وأما البدعة) التى قسّموها إلى حسنة وغيرها: فهى اللغوية (ومن المعلوم) أن البدع ليست من الدين، فكيف يُتقَرَّبُ بها إلى الله عز وجل . وهل يصح من عاقل أن يُعبد الله تعالى بغير ما شرع؟ (وأنَّ) سنةَ النبى ﷺ هى فعله وقوله وتقريره. (وأنَّ) ما تُرك مع قيام المقتضى فتركه سنةً وفعله بدعة: كالأولى والثانية يوم الجمعة: تركهما النبى ﷺ مع قيام المقتضى وهو التشريع . فتركهما سنة (وكذا) الترقية بين يدى الخطيب ورفع الصوت حال السير مع الجنائز وسائر البدع فى العبادة: تركها مطلوب شرعاً لأنها ضلالة يجب البعد عنها (وقد) أجمعوا على أن كل بدعة حدثت رُفِعَ مثلها من السنة، لحديث غُصيف بن الحارث أن النبى ﷺ قال: (ما أحدث قومٌ بدعةً إلا رُفِعَ مثلها من السنة) [أخرجه أحمد]

وقال عبد الله بن الديلمى: (بلغنى أن أول زهاب الدين تركُ السنة يذهب الدينُ سنةً سنةً كما يذهب الحبلُ قوةً قوةً) [أخرجه الدارمى]

ثم بعد ذلك يقول فى الدين الخالص: (فالمطلوب) ممن يريد حفظ دينه من الضياع وسلامة عقيدته من الفساد، ألا يركن إلى أى كتاب ادعى صاحبه استحسان أى بدعة فى العبادة، أو مال إلى عقيدة فاسدة، وإلَّا ضلَّ وخاب، وغرَّق فى غياهب التَّبَابِ (١٧١٤). هذا، والمعلوم أن الدين هو ما أوحاه الله إلى

(١٧١٤) التَّبَابُ بالفتح: أى الحسران والهلاك (مختار الصحاح).

رسوله ﷺ، وأنه مأمور بتبليغه من غير تغيير ولا زيادة ولا نقص، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (١٧١٥) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (١٧١٦) وقال: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ﴾ (١٧١٧) وقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (١٧١٨) وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (١٧١٩)، وما إلى ذلك من الآيات الناطقة بأنه لا مُشَرَّعَ إلا الله تعالى (ولو أدرك) المتعرضون للتأليف ذلك ما قالوا بتحسين أى بدعة - فى الدين - سيماً وأن كل بدعة مردودة بقول رسول الله ﷺ: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) [أخرجه الشيخان وأبو داود وابن ماجه عن عائشة]

ثم يقول: (ولو عقلوا) أن الأحكام لا تثبت إلا بدليل من الكتاب أو السنة (ما أثبتوا شيئاً من هذه المخالفات فى كتبهم) (وإذا) كانت البدع ليست من الدين، فما الدليل على حُسْنِهَا؟ (وهل) الدين كان ناقصاً وكمل بالبدع التى ليست منه؟ ألم يبلغهم قول الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١٧٢٠)؟ أم بلغهم ولم يفقهوه؟ أم اعتقدوا أن الدين الذى شرعه الله سبحانه وتعالى كامل ولكن البدع أكمل منه؟ فلذا تركوا العمل بالكثير منه، وعكفوا على العمل ببدعهم، وغفلوا عن قول النبى ﷺ: (اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفَيْتُمْ) [أخرجه الطبرانى فى الكبير عن ابن مسعود]

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا .. حتى يكونا من أهل السنة .. لا من أهل البدعة .. (وعليهما) أن يكونا على صلة بالكتاب والسنة فهماً وتطبيقاً حتى لا يضللاً أو يزلأ .. مع ملاحظة أن الإمام مالكا رحمه الله كان

(١٧١٥) النجم: ٣، ٤.

(١٧١٦) المائدة: ٦٧.

(١٧١٧) هود: ١١٢.

(١٧١٨) آل عمران: ١٢٨.

(١٧١٩) الحاقة: ٤٤ - ٤٧، والوتين: عرق بالقلب يتصل بالرأس إذا انقطع مات صاحبه.

(١٧٢٠) المائدة: ٣.

يقول: مَنْ استحسن بدعة فقد زعم أن محمدًا خان الرسالة (١٧٢١).

(وَأَنَّ) الإمام الشافعي رحمه الله قال في رسالته: إذا وجدتم قولي يخالف قول رسول الله ﷺ فاعملوا بقول رسول الله ﷺ واضربوا بقولي عُرْضَ الحائِطِ .. (كما) نُقِلَ عن جميع الأئمة أنهم كانوا يقولون لأصحابهم: خذوا العلم من حيث أخذنا.. أى: من الكتاب والسنة .. (وكانوا) يقولون: ليس لأحد كلام مع رسول الله ﷺ، لأن الله لم يجعل لأحد معه كلاماً، وجعل قوله يقطع كُلَّ قول . (وعليهما) أن يذكرنا دائماً وأبداً .. أن الخير كله فى الاتباع .. وأن الشر كله فى الابتداع .. (وهما) يسألان الله تعالى دائماً وأبداً - معنا - أن يجعلنا جميعاً كمؤمنين صادقين .. وكمحبين لرسول الله ﷺ من أهل الاتباع لا من أهل الابتداع .. اللهم آمين،،

## (١١٥) يَا رَسُولَ اللَّهِ .. أَمِنَ الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِي الْحَلَّةُ فَأَلْبِسُهَا؟ أَوْ الرَّاحِلَةَ فَأَرْكَبُهَا؟

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله، أَمِنَ الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِي الْحَلَّةُ فَأَلْبِسُهَا؟ قال: (لا). قلت: أَمِنَ الْكِبْرُ أَنْ تَكُونَ لِي رَاحِلَةً فَأَرْكَبُهَا؟ قال: (لا) . قلت: أَمِنَ الْكِبْرُ أَنْ أَصْنَعَ طَعَامًا فَأَدْعُو أَصْحَابِي؟ قال: (لا). (الْكِبْرُ أَنْ تَسْفَهَ) (١٧٢٢) الْحَقُّ، وَتَغْمِصَ النَّاسَ) [أخرجه أحمد والبخاري بسند رجاله ثقات] (فهذا) الحديث، يُشِيرُ أولاً إلى حقيقة الكبر الذى ورد فى شأنه، وتوضيح حقيقته:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (لا يدخل الجنة مَنْ كان فى قلبه مثقالُ ذرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ)، فقال رجلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا

(١٧٢١) وكان يقول: ما لم يكن فى زمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ديناً لم يكن اليوم ديناً .  
(١٧٢٢) سفه الحق من باب تعب، أى جهله، (غمصه): من باب ضرب وسمع وفرح، أى: احتقره كإغتمصه، وعابه وتهاون بحقه أه قاموس.

ونعُلهُ حَسَنَةً؟ قال: (إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ (١٧٢٣)  
وَعَمَطُ (١٧٢٤) النَّاسِ) [رواه مسلم]

(فإن) هذا الحديث كما هو واضح من نصه يشير إلى أنه ليس من الكبر أن تكون حسن الهيئة .. تَحَدُّثًا بنعمة الله عليك .. وإنما الكبر أن يكون هذا التَّجَمُّلُ تكبرًا .. أو إسرافًا.

(فعن) عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: (كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَالْبَسُوا، وَتَصَدَّقُوا: فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ (١٧٢٥)).

[أخرجه أحمد والبخارى والنسائى والحاكم وابن ماجه]

(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أخطأكَ اثنتان: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ) [أخرجه البخارى]

(وقد) ورد الترهيب من هذا التكبر أو إعجاب المرء بنفسه .. فى القرآن والسنة .. قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (١٧٢٦) (١٧٢٧).

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (بينما رجلٌ يمشى فى حلة تُعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ رأسه (١٧٢٨)، يَخْتَالُ فى مَشِيَّتِهِ، إذ خَسَفَ الله به، فهو يتجلجل فى الأرض (١٧٢٩) إلى يوم القيامة) [متفق عليه]

(فإذا) كنتَ أيها الأخ المسلم غير متكبر أو مُسرف بهذا المعنى المشار إليه فى الآية الكريمة، وفى الحديث الأخير .. فإنه لا مانع شرعًا من أن تكون مُتَجَمِّلًا بتلك الصورة المشروعة التى أشار إليها النبي ﷺ فى قوله: (.. فى غير إِسْرَافٍ

(١٧٢٣) بطر الحق: دفعه وردّه على قائله .

(١٧٢٤) وعمط الناس، أى: احتقارهم .

(١٧٢٥) المخيلة: كعظيمة، أى: الكبر .

(١٧٢٦) ومعنى تُصَعِّرْ خَدَّكَ، أى: تُعَمِّله وتُعْرِضُ به عن الناس تكبرًا عليهم، والمرح، أى: التبختر .

(١٧٢٧) لقمان: ١٨ .

(١٧٢٨) أى: ممسطة .

(١٧٢٩) أى: يغوص وينزل .

ولا مَخِيلَةَ)، والتي بها ستكون مُتَحَدِّثًا بنعمة الله عليك .. لأن الله تعالى يقول:  
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (١٧٣٠)

(وعن) ابن عمرو رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله يحبُّ أن يرى أثرَ نعمته على عبده) [أخرجه الحاكم والترمذي وحسنه]

(ولهذا)، فقد رأيت الآن وبعد هذا التمهيد الموضوعي: أن أبدأ في تزويد الأخ القاري بما جاء في (الدين الخالص) (١٧٣١)، حول موضوع:

## اللباس

الذي هو موضوع الفتوى التي ندور حولها حيث يقول - بتصرف وإيجاز - تحت عنوان:

### حكم اللبس

أى: الذي ينبغي على المسلم أن يكون على علم بأحكامه .. حتى يكون مُلتزماً بشرع الله فيه، وحتى يكون منتفعاً بعلم رسول الله ﷺ:  
وخلصته أنه:

(أ) فرض، وهو ما يستر العورة، ويدفع الحر والبرد، قال الله تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (١٧٣٢) أى: ما يستر عورتكم عند الصلاة.

(والإنسان) لا يتحمل الحر والبرد، فيحتاج إلى دفع ضررهما باللباس، قال تعالى: ﴿ سَرَابِلٌ تَلْبِسُكُمْ الْحَرَّ ﴾ (١٧٣٣) أى: والبرد.

(ويكون) - أى اللباس المفروض - من قطن أو كتان أو صوف أو غيرهما مما يحل، وقد لبس النبي ﷺ الصوف وغيره:

(فعن) الأحوص بن حكيم عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال:

(١٧٣٠) سورة الضحى: ١١ .

(١٧٣١) ج ٦ ص ١٧٢ وما بعدها.

(١٧٣٢) الأعراف: من الآية ٣١ .

(١٧٣٣) النحل: من الآية ٨١ .

(خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم وعليه جُبَّةٌ رُومِيَّةٌ من صوف ضَيْقَةَ الكُمَيْنِ، فصلى بنا فيها، ليس عليه شيءٌ غيرها) [أخرجه ابن ماجه .. والأحوص ضعيف] (وقال) المغيرة بن شعبة: وضأتُ رسول الله ﷺ، وعليه جُبَّةٌ من صوف شامية ضيقة الكُمَيْنِ. [الحديث أخرجه الترمذى]

(وقال) أبو بردة: دخلتُ على عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فأخرجت إلينا كساءً مُلبَّدًا وإزارًا غليظًا، فقالت: قَبِضَ رسول الله ﷺ فى هَدَيْنِ.

[أخرجه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى]

(ب) ومستحب، وهو ما يحصل به أصل الزينة وإظهار النعمة، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (١٧٣٤).

(وعن) أبى الأحوص عن أبيه قال: أتيتُ النبى ﷺ وعلى ثوب دون (١٧٣٥). فقال: (ألك مال)؟ قلت: نعم. قال: (من أى المال)؟ . قلت: من كل المال قد أعطانى الله تعالى . قال: (فإذا آتاك الله مالا فليُرْ عَلَيْكَ أثرُ نعمةِ الله وكرامته).

[أخرجه النسائى، وأخرج الطبرانى نحوه فى الصغير بسند رجاله رجال الصحيح]

(ج) ومُبَاحٌ، وهو الثوب الجميل للتزُّين، ولا سِيِّما فى الجُمع والأعياد ومَجَامعِ النَّاسِ .

(فعن) محمد بن يحيى بن حَبَّان - بفتح الحاء - أن النبى ﷺ قال: (ما على أحدكم إن وجد سعةً (١٧٣٦) أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة غير ثوبى مهنته (١٧٣٧)) [أخرجه أبو داود والبيهقى، وأخرجه أبو داود عن يوسف بن عبدالله ابن سلام، وأخرجه ابن ماجه عن عائشة]

(د) ومكروه، وهو اللبس للتكبر والخيلاء .. بدليل الأحاديث التى وقفنا عليها فى التحذير من الكبر .

(١٧٣٤) الضحى آية: ١١ .

(١٧٣٥) لعل المعنى، أنه كان يلبس ثوبا رخيصا، وليس من النوع الجيد.

(١٧٣٦) أى: فى الرزق.

(١٧٣٧) المهنة بالفتح: الخدمة (مختار الصحاح).

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا ينظرُ الله يومَ القيامةِ إلى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا)

(وعنه) قال: قال رسول الله ﷺ: (قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: العِزُّ إِزَارِي، والكبرياءُ رِدَائِي، فمن نازَعَنِي في واحدٍ منهما فقد عَدَبْتُهُ) [رواه مسلم]

(هـ) وحرام على الرجال والخنثى المُكَلَّفِين المختارين: وهو الحرير، فيحرم على الرجل والخنثى لا المرأة لبسه، ولو بحائل بينه وبين بدنه (وما قيل) من أنه لا يحرم إلا إذا مسَّ الجلد (فغير) صحيح، لا يجوز العمل ولا الفتوى به، لأنه مخالف لعموم الأدلة التي منها:

(حديث) ابن الزبير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَنْ لَبَسَ الحريرَ في الدنيا لم يَلْبَسْهُ في الآخرةِ) [أخرجه الشيخان، وأخرجه أحمد والنسائي عن أنس]

(وحديث) أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله واليوم الآخر فلا يلبسُ حريراً ولا ذهباً) [أخرجه أحمد والحاكم]

(وحديث) البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: نهى رسول الله ﷺ عن الدُّبِاجِ، والحرير، والإستبرق (١٧٣٨).

(وما ذُكِرَ) خاص بالرجال دون النساء (لحديث) علي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه، وذهباً في شماله، ثم رفع بهما يديه، فقال: (إِنَّ هَذَيْنِ حَرَامٌ (١٧٣٩) عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي) [أخرجه أحمد]

(ولحديث) زيد بن أرقم ووائلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: (الذهبُ والحريرُ حِلٌّ لِإِنَاثِ أُمَّتِي، حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِهَا).

[أخرجه الطبراني في الكبير وأبو داود والنسائي وابن حبان وابن ماجه]

---

(١٧٣٨) الدُّبِاجُ: ما سُدَّاه ولحمته من حرير، والإستبرق: ما غلظ منه، فذكرهما معه، من ذكر الأخصر مع الأعم.

(١٧٣٩) إن هذين، إشارة إلى الجنس لا العين فقط، و(حرام) مصدر لا يُثنى ولا يُجمع، أى كل واحد منهما حرام، فأفرد لثلا يتوهم الجمع.

(ولحديث) أبى موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (حُرْمُ لِبَاسِ  
الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي وَأَحْلٍ لِإِنَائِهِمْ).

[أخرجه أحمد، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه]

(ففى) هذه الأحاديث دلالة على حلِّ لبس الحرير للنساء وتحريمه على  
الرجال، وهو متفق عليه، إن كان الحرير خالصاً. وكذا إذا كان غالباً ظاهراً عند  
جمهور السلف والخلف، فإن الأدلة لم تفرق بين الخالص والمخلوط، ولأن الأقل  
كالعدم.

(وقال) ابن عباس وجماعة: إنما يحرم الحرير الصافى الذى لا يخالطه غيره  
(فعن) خُصَيْفُ بن عبد الرحمن عن عكرمة عن ابن عباس قال: نهى النبي صلى الله عليه وسلم  
عن الثوب المصمت<sup>(١٧٤٠)</sup> من الحرير. وأما العَلَمُ من الحرير وسدى الثوب<sup>(١٧٤١)</sup>  
فلا بأس به. [أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقى بسند صحيح، كما قال النووى.  
(ولكن) خُصَيْفًا ضَعَّفَهُ أحمد وقال: ليس بحجة ولا قوى اهـ]

وأخرجه الطبرانى بسند حسن والحاكم بسند صحيح، عن ابن جريج عن  
عكرمة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال: إنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن المصمت  
إذا كان حريراً.

(وعن) عبدالله بن سعد عن أبيه قال: رأيت رجلاً<sup>(١٧٤٢)</sup> ببخارى على بغلة  
بيضاء، عليه عمامة خز سوداء. فقال: كسانها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[أخرجه أبو داود والترمذى والبخارى فى التاريخ الكبير]

(قال) ابن الأثير فى النهاية: الخَزُّ ثياب تُنْسَجُ من صوف وإبريسيم<sup>(١٧٤٣)</sup>.  
وهى مباحة، وقد لبسها الصحابة والتابعون، فيكون النهى عنها لأجل التشبه  
بالعجم وزى المترفين (وقال) المنذرى: الخز أصله من وبر الأرنب ويسمى ذكره

(١٧٤٠) المصمت: بضم فسكون ففتح: الخالص.

(١٧٤١) والسدى بفتح السين وقد تضم: ما يمد طولاً فى النسيج.

(١٧٤٢) هو عبدالله بن خازن بالخاء المعجمة والزى، كُنِيَتْهُ أبو صالح. قيل: إن له صحة.

(١٧٤٣) والإبريسيم، هو: نوع من أنواع الثياب.

الخُزْرَ كَصُرْدٍ. وقيل: إن الخزَّ ضَرَبٌ من ثياب الإبريسيم. (وقال) القاضى عياض: الخز ما خُلطَ من الحرير والوبر.

(وأجاب) الجمهور: (أ) عن حديث ابن عباس بأنه يحتمل أن يُراد بالمُصمت فيه، الخالص أو ما غالبه حرير. بدليل قوله: وأما العلم وسُدَى الثوب فلا بأس به. (ب) وعن حديث عبدالله بن سعد عن أبيه (بأن قول) الرجل فى عمامة الخز: كسانيتها رسول الله ﷺ (لا يستلزم) جواز لبسه إياها، لجواز أن يكون النبى ﷺ سلمها له ليجعلها خماراً لبعض نسائه كما وقع نظيره لعمر وعلى وأسماء ابن زيد رضي الله عنهم.. ويحتمل أن تكون تلك العمامة متخذة من حرير وغيره، وليس الحرير غالباً، أو متخذة من وبر الأرنب كما قيل فى الخز.

(ومن هذا) تعلم حرمة لبس القطنى، والأحزمة المتخذة من الحرير الخالص أو الغالب . وقد تغالى بعضهم فاتخذ منه جُبَّةً أو عباءة أو قميصاً أو طيلساناً على الرأس أو غير ذلك، وسكت على هذا كثير من أهل العلم، بل استعمله بعضهم، فاعتبر بهم كثير من القاصرين الجاهلين واقتدى بهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

(قال) النووى فى شرح مسلم: وأما لبس الحرير والإستبرق والديباج، والقسى وهو نوع من الحرير ، فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخلاء أو غيرها، إلا أن يلبسه للحكَّة <sup>(١٧٤٤)</sup> فيجوز فى السفر والحضر . وأما النساء فيباح لهنَّ لبس الحرير بجميع أنواعه، وخواتم الذهب وسائر الحلى منه ومن الفضة، سواء المزوجة وغيرها، والشابة والعجوز والغنية والفقيرة. هذا مذهبنا ومذهب الجماهير اهـ .

فكُنْ أخی القاريُّ المسلم مُنتفعاً مع الأخت المسلمة بهذا العلم النافع الذى كان حول أحكام اللباس التى للأسف الشديد يجهلها كثير من المسلمين ذكورهم وإناثهم .. بتلك الصورة التى كانت ولا تزال سبباً فى التزئِن بالحرام ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ <sup>(١٧٤٥)</sup> .

(١٧٤٤) أى: بسبب مرض جلدى.. وهو الجرب.. عافانا الله منه ومن غيره من الأمراض.

(١٧٤٥) الكهف آية: ١٠٤ .

وَلَوْلَا الْعِلْمُ مَا سَعِدَتْ نَفُوسٌ وَلَا عُرِفَ الْحَلَالُ مِنَ الْحَرَامِ

(ولهذا) كان لا بد كما أشرت أن نطلب العلم النافع دائماً وأبداً .. بل وينبغي

أن نسعى إلى مجالسه .. التي هي خير المجالس:

(فقد) ورد في حديث صحيح رواه مسلم، عن رسول الله ﷺ أنه قال مرغباً

في طلب العلم: (.. وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا

إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ

وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَقَّتْ لَهُمُ

الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، وَمَنْ بَطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ) .

(هذا)، وإذا كان موضوع الفتوى - بالإضافة إلى أحكام اللباس - يحذر في

نفس الوقت من الكبر، كما يوضح حقيقته .. (فإنني) أرجو أيضاً من الأخ

المسلم والأخت المسلمة أن يكونا على عكس هذا .. أى: من أهل التواضع .. لأنه

كما ورد في الأثر: (مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ)، كما ورد كذلك: (أَلَنْ جَانِبِكَ لِقَوْمِكَ

يُحْبَبُكَ، وَتَوَاضَعَ لَهُمْ يَرْفَعُوكَ) .. والله ولى التوفيق،،

## (١١٦) مَا هُوَ حُكْمُ نِكَاحِ الْمُتَعَةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن سبرة بن معبد الجهني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أيها الناس ، إننا

كننا أذننا لكم في نكاح المتعة، ألا وإنها حرام إلى يوم القيامة، فمن كان عنده

منهن شئ فليخل سبيلها، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شئاً).

[أخرجه مسلم والنسائي]

(فهذا) الحديث الشريف أورده الإمام مسلم في صحيحه، وهو في شرح

النووي ج ٩ ص ١٨٦ (باب نكاح المتعة وبيان أنه أبيع ثم نسخ، ثم أبيع ثم

نسخ، واستقر تحريمه إلى يوم القيامة).

(وهذا) الموضوع الذى يشير إليه الحديث، وهو نكاح المتعة يُعتبر من أهم

المواضيع الفقهية التى لا بد أن يكون الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. على

علم بكل ما يتعلق به من أحكام .. حتى لا يكونا من هؤلاء الجهلاء الذين يظنون أنه لا زال حلالاً إلى الآن .. وأنه لم يُحرّم.

ولهذا، فقد رأيت أن أدور حول الموضوع - وبإيجاز مفيد - إن شاء الله تعالى .. من أهم زواياه الفقهية .

وإذا كان لي أن أبدأ بتعريف هذا الزواج .. والسر في إباحته أولاً .. ثم لماذا حرّم بعد ذلك إلى يوم القيامة .. فيأنتنى أرى أن أبدأ بما قاله صاحب كتاب (الحلال والحرام في الإسلام)، تحت عنوان:

### زواج المتعة

والزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ، يقوم على نية العشرة المؤبدة من الطرفين لتتحقق ثمرته النفسية التي ذكرها القرآن - من السكّن النفسى والمودة والرحمة - وغايته النوعية العمرانية من استمرار التناسل، وامتداد بقاء النوع الإنسانى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنًا وَحَفْةً﴾ (١٧٤٦).

ثم يقول: (أما) زواج المتعة، وهو ارتباط الرجل بامرأة لمدة يُحدّدانها لقاء أجرٍ مُعيّن، فلا يتحقّق فيه المعنى الذى أشرنا إليه (وقد) أجازته الرسول ﷺ قبل أن يُستقرّ التشريع في الإسلام (أجازته) في السفر والغزوات، ثم نهى عنه وحرّمه على التأييد .. ثم يقول:

وكان السر في إباحته أولاً أن القوم كانوا في مرحلة يصح أن تُسمّيها «فترة انتقال» من الجاهلية إلى الإسلام، وكان الرّزنى في الجاهلية مُيسراً مُنتشراً . فلما كان الإسلام، واقتضاهم أن يُسافروا للغزو والجهاد شقّ عليهم البُعد عن نساءهم مشقة شديدة، وكانوا بين أقوياء الإيمان ضعفاء، فأما الضعفاء، فخيف عليهم أن يتورّطوا في الرّزنى، أقبح به فاحشة وساء سبيلاً .

(وأما) الأقوياء فعزموا على أن يُخصّوا أنفسهم، أو يجبّوا مذاكيرهم كما قال

(١٧٤٦) النحل : ٧٢ .

ابن مسعود: (كُنَّا نَغزُو مع رسول الله ﷺ ليس معنا نساء، فقلنا: ألا نستخصي؟ فنهانا رسول الله ﷺ عن ذلك، ورخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل).

(وبهذا) كانت إباحة المتعة رخصة لحل مشكلة الفريقيين من الضعفاء والأقوياء، وخطوة في سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة، التي تتحقق فيها كل أغراض الزواج من إحصان واستقرار وتناسل، ومودة ورحمة، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة.

ثم يقول: (وكما) تدرج القرآن بهم في تحريم الخمر وتحريم الربا - وقد كان لهما انتشار وسلطان في الجاهلية - تدرج النبي ﷺ بهم كذلك في تحريم الفروج . فأجاز عند الضرورة المتعة، ثم حرم النبي ﷺ هذا النوع من الزواج. كما روى ذلك عنه على، وجماعة من الصحابة رضياً. ومن ذلك ما أخرجه مسلم في (صحيحه) عن سبرة الجهني: (أنه غزا مع النبي ﷺ في فتح مكة، فأذن لهم في متعة النساء . قال: فلم يخرج حتى حرمها رسول الله ﷺ)، وفي لفظ من حديثه: (وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة) .

ثم يقول: ولكن هذا التحريم بات كزواج الأمهات والبنات، أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، فيباح عند الضرورة وخوف العنت؛ (الذي) رآه عامة الصحابة أنه تحريم بات حاسم لا رخصة فيه بعد استقرار التشريع، وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة، فقد سأله سائل عن متعة النساء فرخص له ، فقال له مولى له : إنما ذلك في الحال الشديد ، وفي النساء قلة أو نحوه ؟ قال ابن عباس: نعم (١٧٤٧) .

ثم لما تبين لابن عباس رضياً أن الناس توسعوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة، أمسك عن فتياه ورجع عنها (١٧٤٨) .

(١٧٤٧) أخرجه البخاري .

(١٧٤٨) زاد المعاد ج٤ ص ٧ ط صبيح . أخرجه البيهقي، وصحيح مسلم - باب نكاح المتعة .

وقد أشار فضيلة الشيخ محمود شلتوت - عليه رحمة الله - فى كتابه (الفتاوى) إلى ملاحظات هامة تتعلق بموضوع زواج المتعة .. حيث يقول ما خلاصته:

والقرآن قد ربط بعنوان الزوجية أحكاماً كثيرة كالتوارث، وثبوت النسب، والنفقة، والطلاق، والعدة، والإيلاء، والظهار، واللعان، وحرمة التزوج بالخامسة، وغير ذلك مما يعرفه الناس جميعاً، وليس شىء من هذه الأحكام بثابت فيما يعرف بزواج المتعة .. كما يقول تحت عنوان:

### أُبِيحَتِ الْمُتَعَةُ لِحِكْمَةِ ثَم حُرْمَتِ

نعم، ثبت أن النبى ﷺ أباحه للمحاربين فى بعض الغزوات، وثبت أيضاً بما لا شك فيه أنه نهى عنه نهياً عاماً وحرّمه تحريماً مؤبداً، وقد جمع مسلم فى صحيحه، والحافظ ابن حجر فى شرح البخارى أحاديث النهى، فليرجع إليها من شاء .

وما كان نَهَى عمر عنها - وتوعده فاعلها أمام جمع من الصحابة وإقرارهم إياه - إلا عملاً بهذه الأحاديث الصحيحة، واقتلاعاً لفكرة مشروعيتها من بعض الأذهان .. إلى أن يقول فى ختام كلامه:

(وإن) الشريعة التى تُبَيحُ للمرأة أن تتزوّج فى السنة الواحدة أحد عشر رجلاً، وتبيحُ للرجل أن يتزوج كل يوم ما تمكّن من النساء، دون تحميله شيئاً من تبعات الزواج، إن شريعة تُبَيحُ هذا لا يمكن أن تكون هى شريعة الله رب العالمين، ولا شريعة الإحصان والإعفاف . اهـ .

وأنا شخصياً مع هذا القول الأخير بالإضافة إلى ما سبقه من أقوال فى المرجع السابق .. (فعلى) الأخت المسلمة بصفة خاصة أن تلاحظ هذا أولاً حتى لا يخدعها أحد الخارجين على هذا الشرع القويم .. ويطلب منها تحقيق هذا الزواج بينهما .. وهو حرام إلى يوم القيامة كما علمت .. وعلى الأخ المسلم الغيور على دينه وعلى تعاليم هذا الشرع .. أن يكون حارساً لأخته المسلمة .. وحارساً لنفسه أيضاً فى نفس الوقت .

(وعليهما) إذا أرادا الزواج المشروع أن يتزوجا زوجًا مؤبدًا (١٧٤٩)  
وبالصورة الشرعية التي يباركها جمع من المؤمنين .. والله ولى التوفيق،

## (١١٧) هل يَجُوزُ التَّشَبُّهُ بِأَهْلِ الْكِتَابِ فِي الْبَاسِ الْخَاصِّ بِهِمْ . يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

عن أبي أمامة رضي الله عنه أنه قال: خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم، فقال: (يا معشرَ الأنصار حَمِّروا وصَفِّروا، وخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ). فقلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزون؟ فقال رسول الله ﷺ: (تسرولوا وائتزروا، وخالفوا أهل الكتاب) قلنا: يا رسول الله، إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون؟ فقال رسول الله ﷺ: (فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب)، فقلنا: يا رسول الله، يقصون عثانينهم (١٧٥٠) ويؤفرون سبالهم؟ فقال النبي ﷺ: (فصوا سبالكم، ووقروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب).

[أخرجه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا القاسم. وهو ثقة، قاله الهيثمي] ولهذا، فقد قال في (الدين الخالص) ج ٦ (١٧٥١) تحت عنوان (المخالفة في اللباس): ينبغي للإنسان أن يكون لباسه من الحلال المعتاد لأمثاله، ويكره له لبس غير زي أهل بلده وأقرانه، ويحرم التشبه بأهل الكتاب في اللباس الخاص بهم (لقول) أبي كريمة: سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يخطب على منبر الكوفة وهو يقول: يا أيها الناس، إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إياكم ولباس الرهبان، فإنه من ترهب أو تشبه فليس مني).

[أخرجه الطبراني في الأوسط عن شيخه على بن سعيد الرازي، وهو ضعيف]

(١٧٤٩) اللهم إلا إذا كانت هناك أسباب تدعو إلى الطلاق الذي هو أبغض الحلال عند الله .

(١٧٥٠) عثانينهم، جمع عثنين، وهو اللحية.

(١٧٥١) ص ٣١١ وما بعدها بتصرف.

ثم يشير بعد ذلك إلى ملاحظة هامة، قال فيها: سئل الحافظ جلال الدين السيوطي عن طالب علم تَزِيًّا بزى أهل العلم وهو في الأصل من قُرى البر، ثم لما رجع إلى بلاده وعشيرته تَزِيًّا بزِيَّهم وترك زى أهل العلم، هل يُعترض عليه في ذلك أم لا؟ (فأجاب) بما معناه: لما اتصف بالصفتين لا اعتراض عليه في أى الزِّيِّين تَزِيًّا، لأنه إن تَزِيًّا بزى العلماء فهو منهم، وإن تَزِيًّا بزى أهل بلده وعشيرته فلا حرج عليه اعتبارًا بالأصل، ولأنه بين أظهرِ عشيرته وقومه، وهذا واضح، ولعل كلام علمائنا لا يخالفه . ومرادهم بقولهم: ويكره خلاف زى بلده، يعنى بلا حاجة تدعو إلى خلافهم، فإن مَنْ صار من العلماء تَزِيًّا بزِيَّهم فى أى مصر كان أو بلدة كانت غالبًا هـ .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يقعا فى هذا المحذور المنهى عنه .. والله الموفق للصواب،،

## (١١٨) هَدَّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ دَخَلُوا الْغَارَ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ فَوْقِ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمْ هَذَا الْغَارَ .. وَمَا الَّذِي كَانَ سَبَبًا فِي نَجَاتِهِمْ؟

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوامهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أنقبى<sup>(١٧٥٢)</sup> قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنادى<sup>(١٧٥٣)</sup> بى طلب الشجر يوماً، فلم أرُحْ

(١٧٥٢) الغبوق هو شراب اللبن، أو الشرب بالعشى، والصَّبوح الشرب بالغداة .. أى: فى الصباح  
(مختار الصحاح) بتصرف.

(١٧٥٣) أى: أبعدنى.

عليهما (١٧٥٤) حتى نأما، فحلبتُ لهما غبوقَهُما، فوجدتُهُما نائمين، فكرهتُ أن أوقظَهُما، وأن أغبقَ قبلَهُما أهلاً أو مَلاً، فلبِثتُ والقدح على يدي أنتظر استيقاظَهُما حتى بَرَقَ الفجرُ والصُّبىة يتضاغون عند قَدَمي، فاستيقظتُ فشرَباً غبوقَهُما .. اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففَرِّجْ عَنَّا ما نحنُ فيه من هذه الصخرة .. فانفرجتُ شيئاً لا يستطيعون الخروج منه .

قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عمِّ كانت أحبُّ الناس إلى، وفي رواية: كنتُ أحبُّها كأشدِّ ما يُحبُّ الرجلُ النساء، فأردتُها على نفسها فامتنعتُ مني (١٧٥٥)، حتى أَلَمَّتْ بها (١٧٥٦) سنَّةً من السنين (١٧٥٧)، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار (١٧٥٨) على أن تُخَلِّيَ بيني وبين نفسها، ففَعَلتُ، حتى إذا قدرتُ عليها، وفي رواية: فلما قعدتُ بين رجلَيْها قالت: اتقِ الله ولا تفضُ الخاتمَ إلا بحقه (١٧٥٩)، فانصرفتُ عنها، وهى أحبُّ الناس إلى، وتركتُ الذهبَ الذى أعطيتها . اللهم إن كنتُ فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، فافرِّجْ عَنَّا ما نحنُ فيه، فانفرجتُ الصخرةُ غير أنهم لا يستطيعون الخروج .

وقال الثالث: اللهم استأجرتُ أجراً وأعطيتُهُم أجرهم، غير رجلٍ واحد ترك الذى له وذهب، ففُتِمْتُ أجره (١٧٦٠)، حتى كثرتُ منه الأموال .. فجاءنى بعد حين (١٧٦١) فقال: يا عبد الله أدِّ إلىَّ أجرى، فقلتُ: كلُّ ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق (١٧٦٢) . فقال: يا عبد الله

(١٧٥٤) أى: لم يعد إليهما إلا بعد أن نأما .

(١٧٥٥) أى: خوفاً من الله تبارك وتعالى .

(١٧٥٦) أى: نزلت بها .

(١٧٥٧) أى: جاءت واحتاجت .

(١٧٥٨) أى: أعطاهما مائة وعشرين ديناراً .

(١٧٥٩) أى: لا تفضُ بكارتى إلا بالزواج الشرعى .

(١٧٦٠) أى: استثمره له فى تجارة أو زراعة . مثلاً .

(١٧٦١) أى: بعد حين من الزمان .

(١٧٦٢) أى: العبيد .

لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عني ما نحن فيه، فافرجت الصخرة فخرجوا يمشون).

ففي هذا الحديث الشريف المتفق عليه يشير النبي ﷺ إلى أهم ملاحظة ينبغي علينا أن نلتفت إليها بقلوبنا .. وهي ضرورة أن يكون هناك اتصال بيننا وبين الله تبارك وتعالى عن طريق الأعمال الصالحة الخالصة لوجهه سبحانه وتعالى ولا سيما في الأزمات والنكبات التي ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ كَشْفَةٌ﴾ (١٧٦٣).

كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ أي: واطلبوا القربة إليه بالعمل الصالح الذي يرضيه ﴿وَجَعَلُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٧٦٤).

هذا، وإذا كان الحديث يدور حول موضوع (الصخرة) .. فإن هذه الصخرة قد تكون معنوية بالنسبة لنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وأعني بهذا أنها قد تكون أزمة، أو مصيبة، أو قضية، أو ديناً، أو همك، أو غمك، أو عدوك يهدد حياتك وحياة أسرته فضلاً عن مالك ومتاعك .. وتريد أن تستعين بالله سبحانه وتعالى على الخروج من كل تلك الأزمات والنكبات .. الخ.

(وكيف لا) والله سبحانه وتعالى هو المستعان الذي: ﴿يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ..﴾ (١٧٦٥)، وهو القائل في قرآنه: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (١٧٦٦)، والقائل: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ (١٧٦٧)، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (١٧٦٨).

(١٧٦٣) النجم: ٥٨.

(١٧٦٤) المائدة: ٣٥.

(١٧٦٥) النمل: من الآية ٦٢.

(١٧٦٦) غافر: من الآية ٦٠.

(١٧٦٧) الأعراف: من الآية ٥٥.

(١٧٦٨) البقرة: من الآية ١٨٦.

وحسبك أن تستفيد بهذا المشار إليه في هذا الحديث.. وهو أن كل عمل صالح ستقرب إلى الله - تبارك وتعالى - به على أساس من الإخلاص .. فإنه لا شك سيكون سبباً في نجاتك وخروجك من هذا الذي وقعت فيه، أو ستقع فيه ما دمت في هذه الدنيا التي لا أمان لها.. كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله:

هِيَ الدُّنْيَا تَقُولُ بِمِلءِ فِيهَا حَذَارِ حَذَارٍ مِنْ بَطْشِي وَفَتْحِي  
فَلَا يَغْرُرْكُمْ مَنِيَّ ابْتِسَامٌ فَقُولِي مُضْحَكٌ وَالْفِعْلُ مُبْكِي

والله درُّ الإمام الشافعي رحمته، فلقد قال كذلك في ذم الدنيا، والتحذير من غورها:

ومن يَذُقُ الدُّنْيَا فَبَائِي طَعْمَتُهَا وَسِيْقُ إِلَيْنَا عَذْبُهَا وَعَدَابُهَا  
فَلَمْ أَرَهَا إِلَّا غُرُورًا وَبَاطِلًا كَمَا لَاحَ فِي ظَهْرِ الْفَلَاةِ سَرَابُهَا  
وَمَا هِيَ إِلَّا جَيْفَةٌ مُسْتَحِيلَةٌ عَلَيْهَا كِلَابٌ هَمُّهَنْ اجْتَذَابُهَا  
فَإِنْ تَجْتَنِبُهَا كُنْتَ سَلْمًا لِأَهْلِهَا وَإِنْ تَجْتَذِبُهَا نَازَعَتْكَ كِلَابُهَا  
فَدَعْ عَنْكَ فَضَلَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا حَرَامٌ عَلَى نَفْسِ التَّقَى ارْتِكَابُهَا

(أقول) إذا أراد الأخ المسلم أن ينتفع بهذا المشار إليه في هذا الحديث من النماذج الحية التي كانت ولا تزال من أهم أسباب الخير .. فإنه حسبي أن أذكر الأخ المسلم .. بل والأخت المسلمة .. ببعض الإشارات أو التنبيهات المتعلقة بتلك النماذج الثلاثة .. التي هي:

البر بالوالدين .. ففي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْتَمِسْ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أٰفٍ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (١٧٦٩).

وفى السنة الشريفة، ورد عن ابن عمر رضي أن رسول الله صلى: (بروا آباءكم تبرُّكم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم). [رواه الطبراني بإسناد حسن]

(١٧٦٩) الإسراء آية: ٢٣.

وعلى هذا، فإنه ينبغي على الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يكونا من البارئين بأبائهم وأمهاتهم، حتى يفوزا بدرجة البارئين إن شاء الله .

وأما عن الرجل الثاني .. وهو الذى استطاع بتوفيق من الله وحفظه أن ينتصر على نفسه .. عندما توسلت إليه الفتاة الصالحة أن لا يفضَّ خاتمها إلا بحقه .. فاستجاب لتوسلاتها .. وانصرف عنها وهي أحب الناس إليه .. وترك لها الذهب الذى كان قد أعطاهما إياه .. إنه بهذا فعلاً يستحق منا كل تقدير .. وقد قرأتُ نصّاً جاء فيه: إن الله تعالى خلق الملائكة من عقل بلا شهوة، وخلق البهائم من شهوة بلا عقل، وخلق آدميًّا من كليهما .. فمن غلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته على عقله فالبهائم خير منه .

فلتكن أيها الأخ المسلم ملائكية .. وإياك أن تكون بهيمياً، والعياذ بالله..

وأما عن الرجل الثالث .. فهو الرجل المؤمن الصادق الذى نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يُكثر من أمثاله .. وأن ينفعنا به .. اللهم آمين،

## (١١٩) ماذا قال الرسول ﷺ للثلاثة الذين نذر أحدهم أن يصلى الليل أبداً، ونذر الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبداً؟

عن أنس رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط (١٧٧٠) إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها (١٧٧١)، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر، وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .. فجاء رسول الله ﷺ إليهم، وقال:

(١٧٧٠) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ بَعْثٌ رَهْطًا﴾ [النمل: ٤٨] .

(١٧٧١) أى: اعتبروها قليلة .. بالنسبة إلى فهمهم.

(أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأنتقاكم له، لكنى  
أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء: فمن رغب عن سنننى فليس  
منى). [متفق عليه]

ففى هذا الحديث الشريف الصحيح: يُعلمنا الرسول ﷺ من خلال قوله  
للأصحاب الثلاثة وهم: - على بن أبى طالب، وعبدالله بن عمرو بن العاص -  
وعثمان بن مظعون - رضى الله عنهم أجمعين -: كيف تكون العبادة لله رب  
العالمين بدون تشدد أو مغلالة لا تتفق مع سماحة هذا الدين الحنيف الذى بنى  
على أساس متين، تحت عنوان:

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (١٧٧٢)، وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (١٧٧٣)

.. (وذلك) حتى لا يكون هناك ما يُسمى بالفطور، أو التعب الذى قد لا يستطيع  
الإنسان المسلم بسببه مواصلة عبادة الله تعالى بنفس القوة والنشاط الذى كان  
يعبد الله تعالى به قبل هذا .. (أعنى) قبل أن يُحمَلَ نفسه فوق طاقته .. (هذا)  
بالإضافة إلى عدم تمكنه من أداء أعماله - الوظيفية، أو الصناعية، أو الزراعية،  
أو التجارية - التى سيستطيع بها أن يواصل مسيرة الحياة بدون ضعف  
أو هوان.

(ولهذا) فقد ورد:

(عن) عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له: (بلغنى أنك  
تصومُ النهارَ وتقومُ الليلَ، فلا تفعل فإنَّ لجسديك عليك حظًا) (١٧٧٤)،  
ولعينيك عليك حظًا، وإن لزوجك عليك حظًا، صم وأفطر، صم من كل شهر  
ثلاثة أيام، فذلك صوم الدهر). قلت: يا رسول الله، إن لى قوة ؟ قال: (فصم  
صوم داود عليه السلام: صم يومًا وأفطر يومًا) فكان يقول: يا ليتنى أخذت  
بالرخصة.

[رواه البخارى ومسلم]

(١٧٧٢) البقرة: من الآية ٢٨٦.

(١٧٧٣) التغابن: من الآية ١٦.

(١٧٧٤) أو: حقًا وكلاهما ورد فى الحديث الصحيح.

وروى البخارى ومسلم، قال: أُخْبِرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ - أَيْ: عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو  
ابن العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: لِأَقْوَمِنَ اللَّيْلِ، وَلِأَصْوَمِنَ النَّهَارِ مَا عَشْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ: (إِنَّكَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ؟) فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قَلَّتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ: (فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، صُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ  
أَيَّامٍ، فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ) قَالَ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ  
مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ) قَالَ: فَقُلْتُ: إِنِّي أَطِيقُ  
أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، وَذَلِكَ صِيَامُ  
دَاوُدَ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ) قَالَ: فَإِنِّي أَطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ.

زاد مسلم: قال عبدالله بن عمرو: لأن أكون قبلتُ الثلاثة التي قال رسول الله  
ﷺ أحبُّ إليَّ من أهلي ومالي . وفي أخرى لمسلم: قلت: يا رسول الله، ما أردتُ  
بذلك إلا الخير؟ قال: (لا صامَ مَنْ صامَ الدهرَ) وفي رواية: (الأبد) .

(وعن) أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ  
السَّارِيَتَيْنِ (١٧٧٥)، فَقَالَ: (مَا هَذَا الْحَبْلِ؟) قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لَزِينِبَ فَإِذَا  
فَتَرْتِ (١٧٧٦) تَعَلَّقْتَ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (حَلُّوهُ لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ  
فَلْيِرْقُدْ). [متفق عليه]

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي  
فَلْيِرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنْ أَحَدُكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسَ لَا يَدْرِي  
لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ). [متفق عليه]

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ، إِذْ هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ  
عَنْهُ؟ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ وَلَا يَسْتَظِلَّ وَلَا  
يَتَكَلَّمَ وَيَصُومَ . فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مُرُهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيَتِمَّ  
صَوْمَهُ). [رواه البخارى]

فمن كل تلك الأحاديث الشريفة الصحيحة نستطيع أن نفهم المعنى المراد من

(١٧٧٥) أى: بين العمودين.

(١٧٧٦) أى: تعبت.

قول الرسول ﷺ للثلاثة الذين قالوا ما جاء فى نص الحديث الشريف الذى  
ندور حوله .. (وذلك) حتى لا يكون هناك ملل أو فتور .

(فعن) عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة. قال: مَنْ هذه؟  
قالت: هذه فلانةٌ تذكر من صلاتها . قال: (مَهْ) <sup>(١٧٧٧)</sup>، عليكم بما تُطيقون،  
فوالله لا يَمَلُّ الله حتى تَمَلُّوا) وكان أحبَّ الدين إليه ما داوم صاحبه عليه .

[متفق عليه]

(ومعنى): لا يمل الله، أى: لا يقطع ثوابه عنكم، وجزاء أعمالكم، ويُعاملكم  
مُعَامَلَةَ المَالِ حتى تَمَلُّوا .. ففتركوها .. فينبغى لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام  
عليه، ليدوم ثوابه لكم وفضله عليكم.

(وهذا) معناه كذلك أنه لا بد أن يكون هناك اقتصاد فى طاعة الله تبارك  
وتعالى .. (أعنى) لا بد أن تكون هناك وسطية واعتدال .

(فعن) أبى رُبَيْعٍ حَنْظَلَةَ بن الربيع الأسيديّ الكاتب أحد كتّاب رسول الله ﷺ  
قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلتُ: نافق حنظلة. قال:  
سبحان الله ما تقول؟ فقلت: نكون عند رسول الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بالجنة والنار كأننا  
رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد  
والضيعات <sup>(١٧٧٨)</sup> نسينا كثيرا . قال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله إننا لنلقى مثلَ هذا .  
فانطلقنا أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلتُ: نافق حنظلة  
يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: (وما ذاك؟) قلت: يا رسول الله نكون عندك  
تُذَكِّرُنَا بالنار والجنة رأى العين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد  
والضيعات نسينا كثيرا؟ فقال رسول الله ﷺ: (والذى نفسى بيده، لو تدومون  
على ما تكونون عندي - عليه - وفى الذِّكْرِ لصافحتكم الملائكة على فُرْشِكُمْ  
وفى طرقِكُمْ، ولكن يا حنظلة ساعةً وساعةً ثلاثَ مراتٍ). [رواه مسلم]

(وتلك) كانت حياة الرسول ﷺ وعبادته .. كما قال للثلاثة فى نص الحديث

(١٧٧٧) مَهْ: كلمة نهى وزجر .

(١٧٧٨) (عافسنا) هو بالعين والسين المهملتين، أى: عالجنا ولاعبنا، والضيعات: أى المعاشين .

الشريف الذى ندور حوله: (.. أما والله إننى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى).

(فعن) أبى عبدالله جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنتُ أصلى مع النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات، فكانت صلواته قصداً وخُطْبَتُهُ قَصْداً. [رواه مسلم]  
(وقوله: قصداً) أى: بين الطول والقصر.

(وعن) عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يفطر، ويفطر حتى نقول: لا يصوم، وما رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيتُه فى شهر أكثر صياماً منه فى شعبان.

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود]

(وقد) قرأتُ أن رجلاً ذهب إلى عبدالله بن عباس رضي الله عنه فقال له: إن العرب تقول: (حُبُّ التَّنَاهَى شَطَطٌ، خَيْرُ الْأُمُورِ الْوَسَطُ) فهل نجد هذا المعنى فى القرآن الكريم؟ فقال له ابن عباس: نعم فى أربعة مواضع:

فى قوله تعالى فى وصف بقرة موسى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (١٧٧٩) أى: وسط بين الكبر والصغر.

- وفى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (١٧٨٠) أى: فتوسط بين الأمرين.

- وفى قوله تعالى:

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَالِفْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (١٧٨١)، وهذا السبيل

هو الوسط.

(١٧٧٩) البقرة: من الآية ٦٨.

(١٧٨٠) الإسراء: ٢٩.

(١٧٨١) الإسراء: من الآية ١١٠.

- وفى قوله تعالى فى مدح المعتدلين من كرماء المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (١٧٨٢)، أى: وسطاً.

فعلَى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يلاحظا كل هذا وينفذهاه .. حتى يكونا من أهل الوسطية والاعتدال إن شاء الله .. والله ولىُّ التوفيق،،

## (١٣٠) هل سندخل الجنة بأعمالنا يا رسول الله؟

عن عائشة رضي عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها كانت تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سَدُّوا (١٧٨٣)، وقَارِبُوا (١٧٨٤)، وأَبْشُرُوا (١٧٨٥)، فإنه لن يدخل أحدًا الجنة عمله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولأنا، إلا أن يتعمدنى الله برحمته). [رواه البخارى ومسلم وغيرهما]

وعن أبى سعيد الخدرى رضي عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل الجنة أحدٌ إلا برحمة الله) قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: (ولأنا إلا أن يتعمدنى الله برحمته) وقال بيده فوق رأسه (١٧٨٦). [رواه أحمد بإسناد حسن، ورواه البزار والطبرانى من حديث أبى موسى، والطبرانى أيضاً من حديث شريك بن طارق بإسناد جيد .. (وهو) موافق للحديث الصحيح الذى قبله]

ففى هذين الحديثين الشريفين يجيب النبي صلى الله عليه وسلم - على هذا التساؤل الهام الذى وجّه إليه - بتلك الإجابة الهامة التى لا بد أن نكون قد وقفنا على أبعادها والمراد منها .. حتى لا نتكل على أعمالنا .. ونكون دائماً وأبداً - مع تلك الأعمال الصالحة الخالصة - من المؤمنين الصادقين الذين يتضرعون إلى الله تعالى أن يتقبل منهم أعمالهم .. وأن يرحمهم .. وأن يجعلهم أهلاً لدخول جنّته. إن شاء الله. (وذلك) لأنه ليس بفرض على الله تعالى أن يدخلنا الجنة .. (فهو) سبحانه

(١٧٨٢) الفرقان: ٦٧.

(١٧٨٣) قال فى النهاية: (أى: اطلبوا بأعمالكم السداد والاستقامة، وهو القصد فى الأمر والعدل فيه).

(١٧٨٤) أى: وحاولوا القرب من الكمال إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل.

(١٧٨٥) يعنى: أملوا خيراً وتوقّعوا كل ما يسركم من فضل الله ورحمته.

(١٧٨٦) يعنى: أشار بها مبيئاً لكيفية شمول الرحمة وتغطيتها للعبد.

وتعالى يتصرف فى خلقه وملّكه كيف يشاء .. إن أدخلنا الجنة بفضله، وإن أدخلنا النار فبعده .. قال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١٧٨٧)

(ونحن) نعتقد اعتقاداً جازماً بأنه سبحانه وتعالى لن يظلمنا: لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١٧٨٨)

وقد قال بعض العلماء فى معنى قول الرسول ﷺ: (لَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ) أى: العمل العارى عن القبول، وأما إذا تفضل الله بقبول العمل كان سبباً مفضياً لدخول الجنة، كما قال الله تعالى: ﴿أَوْرِثْوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٧٨٩)، والمقصود أن العمل وحده لا ينهض بإدخال صاحبه الجنة، بل لابد من رحمة الله عز وجل .

(ومعنى) قوله: (إلا أن يتعمدنى الله برحمته) أى: يلبسنيها ويسترنى بها: مأخوذ من غمد السيف وهو غلافه .. كما قال فى النهاية:

(وفى الحديث) الأول والثانى: الحث على التوسط والاعتدال فى العبادة مع رجاء القبول من الله عز وجل وعدم التعويل على العمل فى بلوغ المطلوب .. بل على رحمة الله وحدها .. فهو الذى برحمته يوفق للعمل، وهو الذى يتفضل بقبوله والإثابة عليه .. فمآل الأمر كله إلى الرحمة .

فعلى الأخ المسلم .. والأخت المسلمة .. أن يفهما المراد من هذين الحديثين الشريفين .. حتى يعملوا ليلاً ونهاراً على أن يكونا أهلاً لرحمة الله تعالى الذى ما خلق الجنة، وما أعدها إلا لمن أطاعه، ولو كان عبداً حبشياً وما خلق النار وما أعدها إلا لمن عصاه، ولو كان شريكاً قرشياً .. قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ \* فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٧٩٠) والله ولى التوفيق،

(١٧٨٧) الإنسان: ٣١ .

(١٧٨٨) يونس: ٤٤ .

(١٧٨٩) الأعراف: من الآية ٤٣ .

(١٧٩٠) المؤمنون: ١٠١، ١٠٢ . (وذلك) كله لن يكون إلا بفضل الله ورحمته التى نسال الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لها .. اللهم آمين .